جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

إنكار الظلم في ضوء الكتاب والسنّة

إعداد
محمد إبراهيم أحمد سيف

إشراف
د. خضر عبد اللطيف سويدك

قُدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلّبات درجة الماجستير في أصول الدين، بكليـة الدراسـات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2007م

إنكار الظلم في ضوء الكتاب والسنّة

إعداد
محمد إبراهيم أحمد سيف

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 2007/9/4م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
1- الدكتور خضر عبداللطيف سويدك	مشرفاً ورئيساً	....
2- الدكتور موسى إسماعيل البسيط	ممتحناً خارجياً	....
3- الدكتور خالد خليل علوان	ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

إلى الأخ العزيز الدكتور "خضر عبد اللطيف سوندك"، عميد كلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية، المشرف على رسالتي، سائلاً المولى عز وجل أن يجعل عمله وإشرافه على رسالتي في ميزان حسناته...

إلى المظلومين في الأرض...

إلى والديّ رحمهما الله...

إلى زوجتي وأولادي...

أقدم جهدي المتواضع هذا، سائلاً الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناتي، إنه سميع مجيب...

الباحث

شكر وتقدير

الحمد ، والصلاة والسلام على رسول ا ، وعلى آله وصحبه ومن والاه...

ثم الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل المشرف على أطروحتي هذه، فضيلة الشيخ "خضر عبد اللطيف سويدك"، عميد كلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية، الذي تفضل بالإشراف على الرسالة، فما فتئ يقدم لي النصائح والتوجيهات الكريمة، وضحى بوقته الثمين، لتخرج هذه الرسالة على الوجه الذي خرجت به –بحمد ا وفضله– سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يجزيه عني خير الجزاء...

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للأستاذين الفاضلين:

الأستاذ الدكتور "موسى البسيط" .

والأستاذ الدكتور "خالد علوان".

اللذين تفضلا بدراسة هذه الرسالة ومناقشتها...

وأتقدم بالشكر إلى كلّ من وقف إلى جانبي وأنا أُعِد لهذه الرسالة وأجمع المراجع والمصادر من هنا وهناك، لتخرج رسالتي على الوجه النافع المفيد –إن شاء ا – لتحقيق الهدف من كتابتها...

وصلى ا على سيدنا ومعلّمنا الحبيب محمد وعلى آله وصحبه وسلّم... والحمد رب العالمين...

الباحث

فهرس المحتويات

إنكار الظلم في ضوء الكتاب والسـنة

إعداد

محمد إبراهيم سيف

إشراف

د.خضر عبد اللطيف سويدك

الملخص

هذا البحث في "إنكار الظّلم في ضوء الكتاب والسنة" قمت بتقسيمه إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة.

تناولت في الفصل التمهيدي: تعريف الظلم في اللغة والاصطلاح، ثم تحدثت عن مفهوم الظلم قديماً وحديثاً، مبيناً أن الظلم أمر قديم وقع في الأرض منذ نزل آدم إلى الأرض فقتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً بغير حق. ولا يزال الظلم في الأرض مستمراً بصور وأساليب شتى.

وفي الفصل الأول: تحدثت عن دواعي الظلم في المجتمعات البشرية، ومنها: النظرة الطبقية، والتي حلّت بالمجتمع، ولا تزال، بإحساس بعض فئات المجتمع بالعظمة والقوة والاقتدار، والسيطرة والهيمنة، والتفوق المادي والاجتماعي على الآخرين... فظهر ما يسمى بالتمييز العنصري، والإحساس بالتفوق العرقي، وسيطرة ذوي البشرة البيضاء على ذوي البشرة السوداء واستعبادهم لفترة طويلة من الزمن، ولا تزال هذه النظرة موجودة في العالم، وتقودها أمريكا، ومن ثم دول أوروبا ومثيلاتها.

وما كان الظلم ليقع في الارض لولا ضعف الوازع الديني عند الظالمين، مما أدى إلى خشيتهم من بني جنسهم من البشر أكثر من خشيتهم من رب العالمين، بل منهم من شكّك بالعدالة الربانية، وأكثرمن ذلك أحب الدنيا وتعلّق بها وقدمها على الآخرة، بل وكره الآخرة، فسيطر عليه هوى نفسه، فأحبها، ولم يرض بقضاء ا وقدره.

وفي الفصل الثاني، تحدثت عن أقسام الظّلم، وهي ثلاثة:

ظلم لا يغفره ا تعالى وهو الشّرك با ، بصوره المختلفة.

وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وصور من هذا الظلم، وهو ظلم لا يتركه ا تعالى، فيعاقب ا فاعله، ولا يغفره إلا أن يأخذ صاحب الحق حقّه... أو يعيد الظالم الحقّ إلى مستحقه.

أما النوع الثالث من الظلم فهو ظلم الإنسان نفسه، بتقصيره في حق ا من أداء العبادات التي يعود أجرها على صاحبها، وما إلى ذلك أيضاً من تقصير يقع من العبد فيظلم نفسه وكان بإمكانه أن يتحاشى الوقوع في المعاصي التي تُهلكه، أو توقعه في التهلكة.

وفي الفصل الثالث: تحدثت عن عاقبة الظالِمين في الحياة الدنيا، وتعجيل ا العذاب لهم، وما ينتظر الظالمين أيضاً من عذاب أليم في اليوم الآخر... فالظالم عقابه في الدنيا يكون بعدم إحساسه بالأمن والاستقرار، فهو في خوف مستمر... ناهيك عن الأمراض التي يسلطها ا تعالى على الظالمين والتي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا من الناس... والكوارث الطبيعية وآيات ا الكثيرة والمتتالية التي يسلطها ا عليهم كالأعاصير والأمطار الشديدة والرياح والزلازل والبراكين والفيضانات والحشرات وما إلى ذلك... وقبل مغادرتهم الدنيا وفراقها يعانون من سكرات الموت الشديدة، فلهم سوء العاقبة في الدنيا والألم الشديد الذي لم يحسبوا حسابه... أما في الآخرة فلهم سوء الدار وسوء العاقبة ، وكلما نضجت جلودهم أبدلهم ا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، فحياة ولا موت... وإذا ما طلبوا التخفيف من العذاب وبخوا وزادهم ا سعيراً.

وأنهيت الفصل الثالث والأخير بالتأكيد على إنصاف ا صاحب العدل المطلق للمظلومين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، على صبرهم وإيمانهم بهذا اليوم العظيم الذي يأخذ ا

فيه الحق للمظلوم ويجزيه على صبره خير الجزاء في جنات النعيم التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشَر، فتبارك ا ما الك الملك الملك العدل .

المقدمة

الحمد منصف المظلومين، ومعاقب الظالمين المعتدين، وإن أمهلهم فإلى حين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين، صاحب الخُلق العظيم، الذي تحمل أعباء الدعوة وظلم الظالمين، ومن آمن معه، فاحتسبوا أجرهم وصبرهم وجهادهم عند ا رب العالمين، صلى ا عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فهذه رسالة كتبتها عن الظلم في زمن كثُر فيه الظلم، بل أصبح سمة هذا العصر الذي نستطيع أن نسميه بعصر طغيان الظلم الذي أراد فيه الغرب نشر مبادئه البشرية الوضعية، وفرضها في الأرض بالقوة، للسيطرة عليها وعلى مقدرات شعوبها...

وقد طمأن ا عباده المظلومين بأن حقّهم عائد إليهم بإذن ا ولو بعد حين، وأن العاقبة للمتقين، وا يمهل ولا يهمل، وقد أعد للظالمين عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة... وسينصف المظلومين، وسينصرهم على أعدائهم بإذنه، فهو القاهر فوق عباده، وقد جعل ا الدنيا دار امتحان وابتلاء... وأمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلِته. أما المظلوم فهو مكرم عند ا تعالى وله الجزاء الأوفى في جنات النعيم، هذا إن كان من المسلمين الصابرين المحتسبين أجرهم عند ا رب العالمين.

أسباب اختيار الموضوع:

1. لما كثُر الظلم في الأرض كان لا بد من فضح نوايا الظالمين، والتأكيد على فضح ا لهم ووعيده إياهم كذلك في كتابه العزيز في كثير من آياته التي غفل الناس عنها، كما وبينت السنة النبوية الشريفة بعض صور الظلم وأنواعه، والعقوبة المترتبة على كل نوع، ليحذر الناس الوقوع في الظلم لسوء عاقبته.

2. ولما كان الظلم جريمة يجب التحذير من الوقوع فيها، فقد جاء التحذير من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من سوء عاقبة الظلم، والعقوبات المترتبة عليه، العاجل منها والآجل، فكان لا بد من دراسة إستقرائية تحليلية لهذه النصوص.

3. لما كان باب التوبة لا يزال مفتوحاً أمام الظالمين وأمثالهم، كانت هذه الدراسة لنصوص الشرع لتبين للظالمين أن الإسلام يجب ما قبله وأن ا غفور رحيم لمن أراد أن يعود ويتوب إلى ا .

4. ثم إن الأمر الوحيد الذي لا يغفره ا تعالى هو الشّرك با ، وما دون ذلك إن تاب العبد تاب ا عليه بإذنه.

5. إننا نعيش في زمن طغيان الظلم وعمومه في الأرض، فكان لا بد من الكتابة في هذا الموضوع الذي غفل عن تفصيل موضوعاته وصوره الكثير من الباحثين في الكتاب والسنة، وإن كتبوا عن الظلم أخذوا جانباً منه مما لا يشفي الغليل.

من هنا أحببت الكتابة في هذا الموضوع لإثرائه والتعمق فيه من خلال نصوص كتاب ا وسنة رسوله صلى ا عليه وسلم، لتقديم شيء نافع بإذن ا للقارئ الكريم، فلعلّه لا يوجد إنسان في الأرض إلا وأصابه الظلم، بصورة من صوره.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث فيما يلي:

1. هل عرف الظالمون معنى الظلم في الحقيقة وعاقبته فارتكبوا جريمتهم وهم عالمون؟

2. هناك لَبس في معرفة معنى الظلم وأنواعه عند كثير من الناس، فكان لا بد من توضيح ذلك.

3. لعلّ بعض الناس يكون قد تلبس بنوع من أنواع الظلم وهو لا يدري، فكان لا بد من توضيح ذلك ليزول هذا اللبس من الأذهان، ويعرف الظالم نفسه فيعود عن ظلمه.

4. كما أن هناك لبس في فهم بعض الآيات التي تحدثت عن الظلم، فَفُهمت وفُسرت بمعنى مخالف لِما جاءت به، وكذلك بعض نصوص السنة النبوية المطهرة فكان لا بد من توضيح معنى هذه النصوص ومعرفة مناسبتها.

5. لما كان المظلوم في حيرة من أمره كان لا بد من طمأنته حيث فقد الأمل من إنصافه في الدنيا، وربما مات دون أن يحصل على حقه، فمن خلال دراسة نصوص القرآن والسنة يطمئن المسلم إلى إنصافه من ربه الذي خلقه وتكفّل به في الدنيا وفي الآخرة، ولن يضيع حق عند ا مطلقاً ولا يظلم ربك أحداً

6. ندرة الكتب في المكتبات وكذلك المراجع التي تحدث الباحثون فيها عن الظلم بتفصيلاته وأنواعه والعقوبه المترتبة عليه وإنما جاءت المعلومات عن الظلم مجملةً ومفرقةً في كتب شتى لم توف الموضوع حقه.

الدراسات السابقة:

موضوع الظلم، من المواضيع التي أخذت جانباً كبيراً من نصوص القرآن والسنة، نظراً لوقوع الظلم منذ زمن بعيد في الأرض، وحين اخترت الكتابة في هذا الموضوع كان لا بد لي من متابعة الدراسات السابقة فيه، فلم أجد كتاباً واحداً قد أنصف هذا الموضوع وأعطاه حقه بتفاصيله وجوانبه المختلفة، فمنهم من كتب في الظلم وأثره السيء على الفرد والمجتمع، ولم يتعمق بنصوص القرآن والسنة، فأخذ بذكر بعض صور الظلم دون البحث في أنواعه والتفصيل فيها، ومنهم من ذكر قصصاً للظالمين في الأرض فسرد بعضاً منها دون أن يذكر الدروس والعبر المستفادة من ذكرها، أو الهدف من سردها، فكانت مجرد قصص من غير دراسة أو تعمق أو استخلاص عبر، ومنهم من انتقد بعض الأنظمة الحاكمة، وما يجري على أرضها من ظلم، ولم يعطِ نصوص الشرع من الكتاب والسنة اهتماماً في دراسته أو بحثه، مما أضاع قيمتها... ومن هذه الكتب كتاب: **(الظلم وأثره السيء على الفرد والمجتمع)** لمحمد بن عبد ا الحكمي، وكتاب: **(مئة وخمسون قصة من نهاية الظالمين والظالمات)** لمنصور عبد الحكيم، وكتاب: **(قضية الظلم في ضوء الكتاب والسنة)** وهو كتاب صغير لمصطفى مشهور، وغير هذه

الكتب جمع فيها فقط بعض الآيات والأحاديث التي تحدثت عن **(الظلم والظلمة والمظلومين)** لجمال عبد المنعم الكومي وحسن عاشور... وقد بحثت في مكتبات عامة وخاصة في بلادنا وفي الأردن والسعودية ومصر، فلم أجد كتاباً عن الظلم يشفي الغليل، فكتبت بحثي هذا لأتناول الموضوع بشكل إستقرائي تحليلي موضوعي كامل شامل لجميع ما يتعلق بالظلم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولأخلُص بعد ذلك مؤكداً العدل الرباني المطلق.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على كتاب ا عز وجلّ وما جاء فيه من آيات عن الظلم والظالمين والمظلومين، وكتب التفسير القديم منها والحديث، وكتب الحديث وأخص منها صحيحي البخاري ومسلم، وشروحاتهما، وكتب العقيدة، وكتب الفقه، والأخلاق، والآداب، والكتب التي تحدثت عن اليوم الآخر في القرآن الكريم، والجنة والنار.

المنهج الذي سلكته في بحثي:

1. كان منهجي في هذا البحث استنباطي وتحليلي للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة.
2. قمت بجمع الآيات القرآنية ذات الصلة بموضوع الظلم، مستعيناً بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
3. صنفت الآيات حسب موضوع الفصل، ثم البحث، ثم المطلب، وهكذا.
4. بيان المعنى الإجمالي للآيات المذكورة بالعودة إلى كتب التفسير، وذكر أسباب النزول إن لزم الأمر، وذكر معنى الكلمات التي بحاجة إلى توضيح معناها لتحقيق الفائدة من ذكرها.
5. بعد ذكر الآيات القرآنية، جمعت الأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت في الظلم والظالمين، فاعتمدت بالدرجة الأولى على صحيحي البخاري ومسلم، وأحياناً استعنت بكتب السنن بشرط أن لا تقل درجة الحديث عن الحسن، مع تخريج لهذه الأحاديث المذكورة بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث.

6. قمت بربط النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في الظلم بالواقع الإنساني، وبحدث العصر كذلك.

7. كما قمت الرجوع الى كتب التفسير القديم منها بخاصة، ومن ثم كتب الحديث للاستفادة منها في شرح الآيات المستدل فيها على صورة من صور الظلم، أو عقوبة مترتبة على الظالم وما إلى ذلك... كذلك الرجوع إلى كتب شرح الحديث المعتمدة والصحيحة.

8. قمت بالرجوع إلى كتب الأدب، والأخلاق، والسيرة النبوية الشريفة، إضافة إلى الكتب التي تحدثت عن اليوم الآخر والجنة والنار، وبعض الكتب الثقافية الأخرى ذات الصلة بموضوع الظلم.

9. وقمت بالتوثيق حسب شهرة المؤلف، ثم كتابة اسمه كاملاً، واسم الكتاب، وبقية المعلومات عن سنة الطباعة ورقم الطبعة إن وجد، واسم الناشر أو المطبعة، والبلد الذي نُشر فيه الكتاب أو طبع فيه.

10. في حال تكرار اسم المصدر أو المرجع اكتفيت بذكر اسم الشهرة، واسم الكتاب، والجزء، ورقم الصفحة، وأشير إلى أنه سبق ذكره.

11. كان جلّ اهتمامي في بحثي هذا أن أوضح موقف الإسلام في إنكار الظلم ـ وهو صلب البحث ـ والقارئ للبحث بتمعن يشعر بهذا الاهتمام بوضوح من خلال استقرائي وتحليلي لنصوص الكتاب والسنة المتعلقة بموضوع الظلم.

12. التمهيد والفصل الأول كان مدخلاً للبحث ولم يكن صلب البحث وهذا أيضاً يشعر به القارئ للبحث، وأرجو أن يكون فيه الفائدة للدخول إلى صلب البحث وهو موضوع الظلم وما جاء بشأنه في كتاب ا عز وجلّ وفي سنة رسوله صلى ا عليه وسلم من إنكار لهذه الجريمة البشعة في حق الإنسان بنفسه وضد غيره من الناس والمخلوقات.

13. بيان معنى المفردات في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وذلك عند عدم وضوح المعنى، إضافة إلى توضيح وبيان التراكيب الصحيحة.

14. الترجمة لبعض الأعلام في الهوامش وليس في نهاية البحث لقلة أو ندرة الأسماء غير المعروفة المذكورة في البحث.

15. تفسير الآيات تفسيراً موضوعياً مع الالتزام بقواعده قدر الإمكان.

خطة البحث:

وفقني ا تعالى لوضع خطة البحث على النحو التالي:

ويتضمن مقدمة، وتمهيداً وثلاثة فصول:

الفصل التمهيدي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الظلم في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: مفهوم الظلم قديماً وحديثاً.

الفصل الأول: دواعي الظلم في المجتمعات البشرية وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النظرة الطبقية.

المبحث الثاني: ضعف الوازع الديني، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الخشية من الناس أكثر من الخشية من ا تعالى.

المطلب الثاني: ضعف الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الثالث: التشكيك بالعدالة الربانية.

الفصل الثاني: أقسام الظلم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشرك با .

المبحث الثاني: ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

المبحث الثالث: ظلم الإنسان لنفسه.

الفصل الثالث: عاقبة الظالمين، وأجر وثواب المظلومين، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عاقبة الظالمين في الحياة الدنيا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عدم الإحساس بالأمن والاستقرار.

المطلب الثاني: كثرة الأمراض والكوارث الطبيعية.

المبحث الثاني: عاقبة الظالمين في اليوم الآخر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: يوم الحشر والوقوع والندامة.

المطلب الثاني: التصفيد بالسلاسل والأغلال.

المطلب الثالث: الاستغاثة بأهل الجنة، والاصطراخ لتخفيف العذاب.

المبحث الثالث: إنصاف المظلومين في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

سائلاً المولى عز وجلّ أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن أكون قد وفقت في بحثي هذا، فإن أصبتُ فمن ا ، وإن أخطأتُ فمن نفسي، وأسأل ا تعالى العفو العافية، والحمد رب العالمين.

الفصل التمهيدي

تعريف الظلم

المبحث الأول: تعريف الظلم في اللغة وفي الاصطلاح

المبحث الثاني: مفهوم الظلم قديما وحديثًا

الفصل التمهيدي

تعريف الظلم

المبحث الأول

تعريف الظلم في اللغة وفي الاصطلاح

الظّلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا يقال: ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته، ويسمى ذلك اللبن الظليم، وظلمت الأرض حفرتها ولم تكن موضعاً للحفر وتلك الأرض يقال لها: المظلومة، والتراب الذي يخرج منها ظليم[1]. ومن أمثال العرب في الشبه: "من أشبه أباه فما ظلم، قال الأصمعي: ما ظلم: أي: ما وضع الشبه في غير موضعه. وأصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد[2]. وفي التنزيل العزيز: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم..[3]. قال ابن عباس وجماعة من أهل التفسير: لم يخلِطوا إيمانهم بشِركٍ.

والظّلْم: الميل عن القصد. والعرب تقول: اِلْزم هذا الصوب ولا تظلِم عنه، أي: لا تَجر عنه". فالظلْم: مصدر حقيقيُ. والظلْم: الاسم، يقوم مقام المصدر، وهو ظالم وظلُوم[4].

والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير، ولذلك قيل لآدم في تعديه ظالم وفي

---

[1] الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، راجعه وائل عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، مصر، ط2003، ص318. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، تحقيق محمود خاطر، ط جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ج1، ص192.ابن عباد، إسماعيل، **المحيط في اللغة**، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1414هـ، ج2،ص390. ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، مصر بدون تاريخ، ج12، ص373. الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ج3، ص780.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص373. مرجع سابق.

[3] سورة الأنعام، الآية 82.

[4] الكومي، جمال عبد المنعم، **ثمانون حديثاً في الظلم والظلمة والمظلومين**، مراجعة وتقديم حسن عاشور، دار الإعتصام، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة 1992، ص8.

إبليس ظالم، وإن كان بين الظلمين بون بعيد، قال بعض الحكماء الظلم ثلاثة: الأول: ظلم بـين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، لذلك قال: (إن الشرك لظلـم عظـيم[1]) وإياه قصد بقوله: (ألا لعنة الله على الظالمين[2]) والثاني: ظلم بينه وبين الناس وأياه، قصد بقوله: (وجزاء سيئةٍ سيئةٌ) إلى قوله: (إنه لا يحب الظالمين[3]) والثالث: ظلم بينه وبين نفسه وإياه قـصد بقوله: (فمنهم ظالم لنفسه[4]) وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه، فإذاً الظالم أبداً مبتدئ في الظلم، ولهذا قال تعالى في غير موضـع: (ومـا ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون[5]) فقد قيل هو الشرك بدلالة أنه لما نزلت هذه الآية شـق ذلك على أصحاب النبيﷺ، وقال لهم: ألم تروا إلى قوله: (إن الشرك لظلم عظيم[6]) فما أحد كان منه ظلم ما في الدنيا إلا ولو حصل له ما في الأرض ومثله معه لكان يفتدي به، وقولـه: (هـم أظلم وأطغى[7]) تنبيهاً أن الظلم لا يغني ولا يجدي ولا يخلص، بلا يردي بدلالة قوم نوح، وقوله: (وما الله يريد ظلماً للعباد[8]) وتخصيص أحدهما بالإرادة مع لفظ العباد والآخر بلفظ الظلّام للعبيد، يختص بما بعد هذا الكتاب[9].

---

[1] سورة لقمان الآية 13.
[2] سورة هود الآية 18.
[3] سورة الشورى الآية40.
[4] سورة فاطر الآية 32.
[5] سورة النحل الآية 33.
[6] سورة لقمان الآية 13.
[7] سورة النجم الآية 52.
[8] سورة غافر الآية 31.
[9] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص318 ـ 319. سبق ذكره.

المبحث الثاني

مفهوم الظلم قديما وحديثًا

لا شك في أن أمراضنا الاجتماعية كثيرة، وهي قديمة مزمنة، ولا يوجد عصر من العصور ولا زمن من الأزمان إلا ونحن نجد فيه الصراع بين أهل العدل وأهل الظلم. وأول ما نعرف من ذلك قصة آدم الذي أمره ا أن يكون خليفته في الأرض وقد هيأه لذلك، فقال: (إني جاعل في الأرض خليفة[1]). والشيطان يحاول أن يخرجه من الجنّة حتى أخرجه منها فظلمه، فخرج إلى حيث تقع الخصومات، فلو أن آدم بقي في الجنة ما فصل بين اثنين، ولا أُصلح بين خصمين، ولا كانت هناك معصية البتة، لكن وقع الظلم في أول مرة بوسوسة الشيطان بإخراج آدم من الجنة إلى الأرض حتى يحكم آدم وذريته من بعده بين الناس بالعدل ويأخذ الحق من يد الظالم ويردوه إلى المظلوم.

قال تعالى: (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين[2]) وقال تعالى: (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما...) إلى قوله: (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين[3]).

وإذًا فالعدل والظلم ضدان يصطرعان في العالم، لكن لا يجوز السكوت من أهل العدل لئلا يتغلّب الظلم، ولا يجوز التّمادي في الظلم لئلا يضعف العدل، ولكن سنّة ا في الكون، ولتبقى سنّة الكون كما أمر ا ، أو كما شاء ا تبارك وتعالى لقوله تعالى: (ولن تجد لسنة ا تبديلا[4]) وإذا كنتم يا بني آدم أنتم خلفاء ا في الأرض، فإنما ذلك لتصلحوا مواضع الخلاف بينكم، وإنما ذلك ليظهر فضل التشريع الرباني، وفضل الرسالات التي جاءت بها الرسل، وهي

---

[1] سورة البقرة الآية 30.

[2] سورة البقرة الآية 36.

[3] سورة الأعراف الآيات 20 ـ 24.

[4] سورة الأحزاب الآية 62.

المصدر الأول، بل الوحيد للعدل والأنصاف بين الناس، فالظلم ظلمات يوم القيامة، فهل تـذهب الحقوق، وتهلك الأموال ويقع بين الناس القتل والخصام واستباحة الدماء والأعراض إلا نتيجـة الظّلم، فهو ظلمات في الدنيا وفي الآخرة، ومن يجلّي هذه الظلمـة؟ لا أحـد إلا ا ، ولا نـور يكشفها ويبددها إلا نور الإسلام، قال تعالى: (يريدون ليطفئوا نور ا [1]) بـأفواههم، بأكـاذيبهم، بدعاويهم الباطلة، وبالجور في الحكم، بالتّزوير في الشهادة بالـدعاوى الباطلـة، وا يكـذبهم ويقول: (وا متم نوره[2]). أي مظهر للحق على الباطل، وللعدل على الظلم، من أجل هذا فإنـك إذا تتبعت الآيات القرآنية تجد أن ا عز وجل جعل النهي عن الظل كتنْقية الأرض وتـصفيتها قبل حرثها وزراعتها، فالزرع والغرس لا يظهرا إلا في الأرض الطّيبة النقية ولن تكون طيبـة ونقية إلا إذا أزيل عنها الظلم، فلا بد من إزالة الظلم حتى يتمكن العدل أن يكون بإذن ا ، قـال تعالى: "وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"[3]

إن منطق الظالمين دائما قديما وحديثًا، ينفثه إبليس في صورهم ويلقي به على ألـسنتهم. قال تعالى: "ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين"[4] وقال: "فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون"[5]. وينطق فرعون وهو من جنود إبليس في الأرض بما يكيـد لنبي ا موسى عليه السلام ويسجل القرآن قوله: "وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربـه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد"[6]

ويقول تعالى عن الملأ من قوم فرعون: "وقال الملأ من قوم فرعون أتَذَر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذَرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون"[7].

---

[1] سورة الصفّ، الآية 8.

[2] سورة الصفّ، الآية: 8.

[3] سورة الإسراء الآية 84.

[4] سورة سبأ الآية 20.

[5] سورة الشعراء الآية 25.

[6] سورة غافر الآية 26.

[7] سورة الأعراف، الآية 127.

هكذا صار موسى وقومه في نظر فرعون وملئه مفسدين في الأرض، ويستحقون العذاب والقتل هم وأبناؤهم، إنه التكبر والطغيان والافتراء والظلم.

وهذا هو منطق الظالمين اليوم على ساحتنا العربية والإسلامية، فقد صار الشباب المسلم والدعاة إلى ا مفسدين مخربين إرهابيين متطرفين منحرفين شاذّين...إلى آخر هذه الأوصاف المفتراة ظلما وبهتانًا، ولا نستغرب هذا من الظالمين المفترين.. فقد سبق أن وصِفَ الرسول صلى ا عليه وسلم من قِبل المشركين بأنه ساحر ومجنون وشاعر وكاذب وكاهن، وما هو كذلك.. أما الشّباب اللاهي المائع الخانع، ففي نظر الظّالمين هم العقلاء المتّزنون والمواطنون الصالحون، ولِم لا وهم المستسلمون، بل الهاتفون المصفّقون للظّالمين. فنحن نرى كيف يتعرض الشباب المسلم والدعاة إلى ا اليوم إلى الاعتقال والتعذيب والتشريد والمطاردة والقتل باسم الأمن، وبأيدي رجال الأمن، وقوات مكافحة الإرهاب والتي صارت جيشًا آخر في كثير من دول العالم اليوم، ويحاكم الشّاب المسلم أمام محاكم أمن الدولة أو محاكم عسكرية سرية!!

ويتم ذلك في ظل حكم دكتاتوري، يدعي أنه ديموقراطي، وتحت الأحكام العرفية؛ لأن الكثير من الأنظمة والدول اليوم أعلنت الحرب على هذا الشباب المسلم، الذي باع نفسه ، وابتغى بعمله وجه ا ، وضحى بنفسه في سبيل ا ، ففتحت الدول سجونها ومعتقلاتها لهذا الشباب المسلم، ونصبت المشانق لتنفيذ الأحكام بحقهم.. كل ذلك باسم الأمن، ومن أجل الأمن.. ونحن نقول: أهذا هو الأمن حقا؟ أم هو التفزيع والظلم والإرهاب؟ وهل يمكن أن يحقق الظلم أمنًا؟ وهل التحالف مع أعداء ا وتنفيذ سياساتهم الخبيثة يحقق أمنا؟!

نتيجة الظلم:

إن الظّلم يولّد الضيق والتبرم والغيظ والتّربص، وتَحين الفرص لدفعه، ولا يتولّد ذلك في نفوس المظلومين فقط، ولكن في نفس كلّ غيور يحب العدل ويكره الظّلم، يحب الحرية ويكره القهر والبغي.

ويدرك الظالمون تماما رد فعل ظلمهم، ويحسبون له حسابا، ولكنهم للأسف يقابلونه بمزيد من الاجراءات الظّالمة لحماية أنفسهم وعروشهم وأنظمتهم.. وهكذا يزداد الظّلم فيزداد رد الفعل، وهلم جرا. وإذا بالظالمين يعيشون في فزع وقلق وعدم استقرار.

وماذا عن أتباع الظالمين وجنودهم؟ إنّهم ظالمون مثلهم فقد أعانوا الظالمين ونفّذوا ظلمهم، قد يظن بعضهم أن لا مسئولية عليهم، وأنهم منفّذون لأوامر رؤسائهم، وأن المسئولية كلّها على الرؤساء والحكام والقادة.. وقد يجدون تعليلاً آخر؛ بأنهم إذا لم ينَفّذوا الأوامر يتعرضون هم للإيذاء والتعذيب والفصل، إلى غير ذلك من المسوغات.. إنهم مشاركون في الظلم، ومسئولون عنه مع رؤسائهم، وهل كان من الممكن أن يقع كل هذا الظلم لو لم يجد الظالم جندا يطيعونه وينفّذون أوامره؟ وماذا كان يمكن أن يفعل فرعون بدون جنوده؟ وهكذا فراعنة هذا الزمان وكل زمان؟!

لذلك نجد ا سبحانه وتعالى يشرك فرعون ووزيره وجنودهما في الخطأ والعذاب. فيقول تبارك وتعالى: "إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين"[1]. ويقول سبحانه: "ونريد أن نمن على الذين استُضعِفوا في الأرض ونَجعلَهم أئمةً ونَجعلَهم الوارثين، ونُمكّن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون"[2].

والخاسر من باع آخرته بدنياه، والأشد خسارةً من باع آخرته بدنيا غيره، وهذا ينطبق على هؤلاء الجند والأتباع الذين باعوا آخرتهم بما ارتكبوا من جرائم الظلم في سبيل الظالمين، في حين أنّهم لن يغنوا عنهم من ا شيئًا، وسيتبرأون منهم يوم القيامة، ويكون العذاب والحسرة مصير الجميع قادةً وجنودا وأتباعا.

قال تعالى: "ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة جميعا وأن ا شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبِعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب، وقال الذين

---

1 سورة القصص، الآية 8.

2 سورة القصص، الآيتان 5-6.

اتّبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منّا كذلك يريهم ا أعمالهم حسرات عليهم وما هـم بخارجين من النّار"[1].

أما عن خدعة إبليس لأتباع الظالمين بأنهم منفّذون للأوامـر، وأنهـم إذا لـم ينفّـذوها فسيتعرضون إلى العنَت والإيذاء، فنقول لهم: إنّكم مشاركون في المسئولية مع رؤسـائكم، ولـن يدعكم ا طويلاً تسعدون برضاهم، فأنتم أول مأكول بعد أن تنفّذوا أغراضهم، فقد علّمنا دينُنـا وأخبرنا بأن من أعان ظالما على ظلمه سلّطه ا عليه، والخير لكم كل الخير ألاّ تنفّذوا أوامـر الظالمين مهما تعرضتم بسبب ذلك إلى الضرر بالفصل أو السجن أو التعذيب أو حتـى القتـل، فإنكم مقابل ذلك ستَنْعمون برضوان ا وجنات ا ، وتنجون من عذاب ا الذي أعده للظـالمين وأعوانهم، وشتّان بين عذاب ا وفتنة الناس. فهل تعقلون ما نقول لكم؟ فتـدركون مـصلحتكم وتراجعون موقفكم؛ لتتداركوا حالكم قبل فوات الأوان؟ ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون[2].

---

[1] سورة البقرة، الآيتان 165-167.

[2] انظر: مشهور، مصطفى، **قضية الظلم في ضوء الكتاب والسنة**، دار النشر والتوزيع الإسلامية، مصر، بـدون تـاريخ، ص 7،15.

الفصل الأول

دواعي الظّلم في المجتمعات البشرية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النّظرة الطّبقية.

المبحث الثاني: ضعف الوازع الديني، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الخشية من الناس أكثر من الخشية من ا تعالى.

المطلب الثاني: ضعف الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الثّالث: التّشكيك بالعدالة الربانية.

الفصل الأول

دواعي الظّلم في المجتمعات البشرية

المبحث الأول

النّظرة الطّبقية

يمكن أن تُعرف الطبقة الاجتماعية بأنها أجزاء من المجتمع أو مجموعات مـن أفـراد، يقف كل منهم على قدم المساواة مع الآخر، ويتميز عن أجزاء المجتمع الأخرى، بمعايير لارتفاع المكانة أو انخفاضها، وهكذا كانت طبقة العمال والطبقة البرجوازية، والطبقة الرأسمالية، وطبقة الفلاحين، وطبقة رجال الدين عند النصارى، إلى غير ذلك[1].

وإن العالم بأحواله التي يعيش فيها اليوم، في أمس الحاجة إلى الإسلام وتنظيم الإسـلام، حيث وصل فيه التعصب العنصري إلى صورته الوحشية في أمريكا بخاصة وأوروبا وجنـوب أفريقيا وبعض بلاد العرب والمسلمين.. فما زال يحتاج إلى وحي الإسلام الذي سوى قبل أربعة عشر قرنًا في واقع الحياة لا في عالم المثل والأحلام بين الأسود والأبيض والأحمر، لا فـضل لأحد منهم على احد إلا بالتقوى. ومنح السود: لا المساواة في الإنسانية فحسب، بل أرفـع مـا يطمح إليه مسلم، وهو ولاية أمر المسلمين. يقول الرسول الكريم صلى ا عليه وسلم: "اسـمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب ا تعالى"[2].

والعالم الغارق في الاستعمار والاستبداد، الذي يصل إلى درجة الوحشية، ما يزال يحتاج إلى وحي الاسلام الذي حرم الاستعمار بقصد الاستغلال، وعامل البلاد التي فتحها –بقصد نـشر الدعوة- معاملة ما تزال في نظافتها وارتفاعها قمة لا تصل إليها أبصار الأقـزام فـي أوروبـا

---

1 زيدان، عبد الكريم، **معالم الثقافة الإسلامية**،، مؤسسة الأنوار النشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط5، 1398هـ ـ، 1978م، ص129،130.

2 البخاري، **الصحيح**، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معـصية، حـديث رقـم 6723، ج 6، ص 2612.

"المتحضرة". فيقرر عمر بن الخطاب ضرب ابن عمرو بن العاص، ويكاد يضرب عمرا نفسه، وهو القائد المظفر والحاكم المبجل؛ لأن ابنه ضرب شابا مصريا قبطيا بغير وجه حق!

والعالم الغارق في مفاسد الرأسمالية ما يزال يحتاج إلى نظام الإسلام الذي حـرم الربـا والاحتكار، وهما الركنان اللذان تقوم عليهما الرأسمالية، قبل القرن الواحد والعـشرين بأربعـة عشر قرنًا!

والعالم الذي غشيته الشيوعية المادية الملحدة –ما يزيد على سبعين عامـا- مـا يـزال يحتاج اليوم- وبعد أن سقطت الشيوعية- إلى نظام الإسلام الذي يحقـق أقـصى حـد للعدالـة الاجتماعية، دون أن يحتاج إلى تجفيف المنابع الروحية في الإنسان، ولا حـصر عالمـه فـي الميدان الضيق الذي تدركه الحواس، ودون أن يحتـاج إلـى فـرض عقيدتـه علـى النـاس بالديكتاتورية، إنّما يقول لهم: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"[1].

"والعالم اليوم ما يزال يحتاج إلى قيام الإسلام؛ لأن ذلك وحده هو سبيله الـواقعي إلـى السلام، لفترة طويلة من الزمان، إن الإسلام لم يستنفد أغراضه. وإن دوره في مستقبل البـشرية لا يقلّ بحال عن دوره الهائل الذي أنار به وجه الأرض، حينما كانت أوروبا ما تزال في عصر الظّلمات"[2].

"إن التقسيم الطّبقي من أخطر المسببات التي تأتي إلى القوة الحقيقية الكامنة، في مجتمـع من المجتمعات فتبددها، وتجعلها كالهباء المنثور. وكلا طرفي منحدر اليمين ومنحدر اليسار في العالم يحملان دسائس هذا التقسيم الطبقي، على أسس مادية بحتة اقتصادية وسياسية، وكلاهمـا يدركان خطورة تماسك المجتمعات الإسلامية على أسس روابطها المتينة الدينية والمادية والأدبية والوجدانية والعقلية، لذلك فهما يحاولان دائما تقسيم هذه الوحدة وتجزئتها بـأي ثمـن، وتلتقـي قوتاهما -على اختلافهما وتنازعهما- عند خط تجزئة المجتمع الإسلامي، تجزئة تهـدم عوامـل قوته وتماسكه"[3].

---

[1] سورة البقرة، الآية 256.

[2] قطب، محمد، **شبهات حول الإسلام**، دار الشروق، بيروت، بدون تاريخ، ص 36،35.

[3] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **أجنحة المكر الثلاثة: التبشير، الاستشراق، الاستعمار**، دار القلم، دمشق، بيـروت، 1975، ص 253، 255.

المبحث الثاني

ضعف الوازع الديني

لا شك في أن الظالم لم يتجاوز حده ويتعدى على الآخرين إلا لما ضعف إيمانـه بـا وباليوم الآخر، فجار ولم يحسب حساب اليوم الآخر، وما أعده ا للظـالمين.. "يـوم لا ينفـع الظالمين معذِرتُهم ولهم اللعنةُ ولهم سوء الدار"[1]. وقال تعالى: "..ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة جميعا وأن ا شديد العذاب"[2].

فقد باع الظالمون آخرتهم بدنياهم، فكان العذاب والحسرة مصيرهم في اليوم الآخر.

وقد تضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب؛ تبين مظاهر ضعف الوازع الـديني التـي اتّصف بها الظالمون..

المطلب الأول: الخشية من الناس أكثر من الخشية من ا تعالى

"إن خشية ا من الدعائم التي قامت عليها الحياة الروحية لأنّها تسمو بالإنسان إلى كـلّ خير، لذلك جاءت الرسالات السماوية تسعى لغرس هذه النزعة في نفوس الأفراد مبينة ما يؤدي إليه غضب ا من العقاب الدنيوي والأخروي.

ولولا خشية ا لاسترسل الإنسان في شروره، وانكب على شهواته، غير مقيم لمصلحة الآخرين من الناس أي اعتبار، ولما نفعت في ذلك كل القـوانين التـي شـرعت لمنـع الظـم والاعتداء على الناس، وهذا ما يعاني منه عالمنا الحاضر.

والإسلام بجانب ما شرعه من العقوبات والزواجر التي تردع الإنسان عن اقتراف الشر لم يهمِل تذكيره بخشية ا والخوف من عقابه لأن ذلك أدعى إلى طاعته سبحانه وتعالى وسلوك الطريق المؤدي إلى رضوانه والفوز بنعيمه، والآيات القرآنية شاهدة على ذلك، منها قوله تعالى:

---

[1] سورة غافر، الآية 52.

[2] سورة البقرة، الآية 165.

"ومن يطع الله ورسوله ويخشَ الله ويتّقْهِ فأولئك هم الفائزون"[1]. وقوله: "إن الذين يخشون ربهـم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير"[2]. وقوله: "رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خَشِي ربه"[3].

وخشية الله تهب الشجاعة للإنسان، وهي من محاسن الصفات التي يتحلّى بها، وقوامهـا أن يبدي الإنسان رأيه وما يعتقد أنّه الحق مهما ظن الناس به أن تقولوا عليه، ولو جـر عليـه غضب الحاكم، ويرفض العمل بما لا يراه صوابا، ولو لم يقع رفضه موقعا حسنًا عند النـاس، والله سبحانه يرشد المؤمنين إلى التحلّي بهذه الصفة بقوله: "فـلا تخـافوهم وخـافون إن كنـتم مؤمنين"[4]. وقوله:"أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين"[5].[6]

"إن المسلم إذا ما استشعر خوف الله، انكفّ وانزجر عن المخالفات والظلـم والعـدوان، واندفع إلى ما يقي نفسه من المؤذيات والمؤلمات في الآخرة، وعلى رأس الوقايـة تقـوى الله، وازداد بخشيته من ربه هدى ورحمة، بخلاف الكافر الذي لا يخشى الله ولا يحسب حساب اليوم الآخر، ولا يزجره زاجر، بل يستمر في ظلمه وطغيانه وعدوانه، ولا يهتدي ولا يعرف معنـى الرحمة"[7].

المطلب الثاني: ضعف الإيمان باليوم الآخر

"علمنا في مبحث سابق أن من أهم أسباب انتشار الظّلم واستمراره في الأرض، ضـعف الإيمان باليوم الآخر. ولو عِلم الظالمون نهايتهم وسوء عاقبتهم ما طغوا وما بغوا وما ظلمـوا. قال تعالى: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[8]. وقال تعالى: "الذين يظلمون الناس ويبغون

---

[1] سورة النّور، الآية 52.
[2] سورة الملك، الآية 12.
[3] سورة البينة، الآية 8.
[4] سورة آل عمران، الآية 175.
[5] سورة التوبة، الآية 13.
[6] طبارة، عفيف عبد الفتاح، **روح الدين الإسلامي**، مرجع سابق، ص183،184.
[7] زيدان، د. عبد الكريم، **أصول الدعوة**، ط3، دار البيان، 1396هـ، 1976م، ص 328.
[8] سورة الشعراء، الآية 227.

في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم"[1]. وقال تعالى: "وترى الظالمين لمـا رأوا العـذاب يقولون هل إلى مرد إلى سبيل"[2].

ولا ريب في أن الإيمان باليوم الآخر وبقيام الساعة من أعظم الأخبار الغيبية التي أخبر ا عنها الخالق تبارك وتعالى. وذلك لبعدها عن مألوف الإنسان وتصوراته، ومـن حيـث مـا ينتظر الإنسان إذ ذاك من العذاب الأليم، أو النعيم الخالد، الذي ينطوي على ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاليوم الآخر هو اليوم الذي يقف فيه هذا الإنسان ضـعيفًا بين يدي خالقه يكلّمه ويحاسبه ويسأله عن النّقير والقطمير، وعن كل صغير وكبير، بعد أن مـر في هذه الدنيا يسمع عنه ولا يراه، ولعلّه لا يؤمن به.

والإيمان باليوم الآخر عليه مدار وجود هذا الإنسان، فحياته اليوم مع ما فيها من كـدح وسعي وعقل وشهوات وأهواء كل ذلك تمهيد وتهيؤ لملاقاة خالقه في هذا اليوم. فمن أجل هـول هذا الحدث العظيم من هذه النواحي كلها، يظلّ القرآن يخبر الإنسان عنه وينذره إياه في تأكيـدٍ متوالٍ لا ينقطع.

ولا تكاد تمر على صحيفة في هذا الكتاب العظيم إلا وتجد فيها حديثًا عن يوم القيامـة، وتنبيها للإنسان إليه، تحذيرا مما سيلاقيه الغافل عنه فيه[3]. قال تعالى: "اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا اسـتمعوه وهـم يلعبـون، لاهيـة قلوبهم.."[4]. وقال تعالى: "ا لا إله إلا هو ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه، ومن أصدق من ا حديثا"[5]. وآية أخرى تبدد ما يطوف بذهن الإنسان من عوامل الريب والشكوك حول إمكـان وقوع يوم القيامة، يقول تبارك وتعالى: "ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أُخرج حيا، أولا يذكر

---

[1] سورة الشورى، الآية 42.

[2] سورة الشورى، الآية 44.

[3] البوطي، د. محمد سعيد رمضان، **كبرى اليقينيات الكونية "وجود الخالق ووظيفة المخلـوق"**، ط6، مطبعـة مـسودى، القدس، وادي الجوز، 1399هـ، ص 276، 277.

[4] سورة الأنبياء، الآيتان 1-3.

[5] سورة النّساء، الآية 87.

الإنسان أنّا خلقناه من قبل ومن يك شيئًا، فوربك لنحشرنّهم والشياطين ثم لنُحضرنّهم حول جهنّم جثيا"[1].

وجاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتّخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد"[2].

المطلب الثّالث: التّشكيك بالعدالة الربانية

ومن دواعي الظّلم في المجتمعات البشرية، التّشكيك بالعدالة الربانية، عِلما بأن الله تعالى، نفى الظّلم عن نفسه، بل وجعله محرما بين عباده، فقال تعالى: "ولا يظلم ربك أحدا"[3].

وقال "وما الله يريد ظلما للعالمين"[4]. وقال: إن الله لا يظلم مثقال ذرة"[5]. وجاء في الحديث الصحيح الذي يرويه أبو ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: "يا عبادي..إنّي حرمت الظّلم على نفسي، وجعلتُه بينكم محرما، فلا تظالموا..."[6]. وإذا انتفى الظّلم عن صفات الله تعالى، تبين لنا بطلان شبهة الذين ادعوا أن صفات الله تغلب عليها القوة والقهر والجبروت.. وظهر لنا جليا أن صفات الله في القرآن ما هي إلا صفات كمال الله تغلب عليها صفات الود والرحمة والعدالة.

قيمة العدل في الإسلام

والعدل مبدأ من مبادئ الإسلام، بل اعتبره بعض العلماء أهم مبدأ في الحياة الإنسانية كلّها، وبه تستقيم حياة النّاس، فلا يظلم بعضهم بعضا. وتعامل المسلمين مع غير المسلمين من

---

[1] سورة مريم، الآيتان66-68.

[2] البخاري، **الصحيح**، كتاب التفسير، سورة الإخلاص، حديث رقم 4690، ج4، ص1903.

[3] سورة الكهف، الآية 49.

[4] سورة آل عمران الآية 108.

[5] سورة النّساء الآية 40.

[6] البخاري، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم 2577، ج4، ص1994.

أهل الكتاب والمشركين يجب أن تقوم على العدل والإحسان كذلك، فلا يجوز أن يقع عليهم ظلـم من أحد من المسلمين حاكما أو محكوما، ولا يجوز لأحد أن يغشّهم أو يخدعهم، فضلا عـن أن يعتدي على أموالهم أو أعراضهم[1].

ومما يدلّ على أهمية العدل في الإسلام ورود الآيات الكثيرة فيه بالدعوة إليـه بـصورة عامة أو خاصة. فمن الآيات التي تأمر بالعدل بصورة عامة قوله تعالى: "إن ا يـأمر بالعـدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون"[2]. ومـن الآيات التي أمرت بالعدل في مسائل معينة؛ العدل في القول: "وإذا قُلتُم فاعـدلوا ولـو كـان ذا قربى"[3]. والعدل في الكتاب: "وليكتب بينكم كاتب بالعدل"[4]. والعدل في الحكم: "وإذا حكمتم بـين النّاس أن تحكموا بالعدل"[5].

والعدل في الكيل والميزان: "وأوفوا الكيل والميزان بالقسط"[6]. والحساب يوم القيامة يكون بالعدل فلا تُظلم نفس شيئًا، قال تعالى: "وقُضي بينهم بالقِسطِ وهم لا يظْلَمون"[7]. وقال: "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة"[8].

وإذا نظرنا إلى هذه الآيات النّاهية عن الظلم، تبين لنا أهمية، العدل في الإسلام، حتّـى يمكن أن يقال دون مبالغة بأن الإسلام هو دين العدالة في كلّ شيء.

إن ا تبارك وتعالى ـ وقد جعل العدل من أوصافه ـ ما أرسل رسله ولا أنزل كتبـه ولا كلّف النّاس بالشّرائع إلا لإقامة العدل والحقّ، قال تعالى: "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنـا

[1] ابن القيم، الجوزية، شمس الدين، محمد بن أبي بكر، **الفوائد**، تخريج وحواشي أحمد بن عرموش.
[2] سورة النّحل، الآية 90.
[3] سورة الأنعام، الآية 152.
[4] سورة البقرة، الآية 282.
[5] سورة النّساء، الآية 58.
[6] سورة الأنعام، الآية 152.
[7] سورة يونس، الآية 54.
[8] سورة الأنبياء، الآية 47.

معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط"[1]. والسماوات والأرض إنّما قامتا بالعدل، قال تعالى: "والسماء رفعها ووضع الميزان"[2]. وإقامة العدل إحدى وظائف الرسول عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: "وقل آمنتُ بما أنزل الله من كتاب وأُمِرتُ لأعدل بينكم"[3].

ومن عدل الله تبارك وتعالى أنّه لا يجزي على عمل الخير إلا إذا كان في سبيله وابتغاء مرضاته، كما أنّه لا يعاقب على عمل الشّر إلا إذا كان عن عمد وقصد، كما أخبر عن ذلك بقوله: "وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما"[4].

ولعظيم عدل الله تعالى أنّه يجزي النّاس في الدارين بإيمانهم وأعمالهم لا بأنسابهم، فلا فائدة تعود علينا يوم القيامة من نسبتنا إلى أصلح وخير عباد الله، كما أنّه لا ضرر يعود علينا من سوء عمل أقرب النّاس إلينا، قال تعالى: "ألا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى"[5].

وبعد كل هذا البيان في عدل الله تعالى نقول: إن المجتمع الإسلامي يحمل أضخم التّبعات الإنسانية تجاه البشر على هذه الأرض، فهو مكلّف أن يقيم أسس العدل والحرية والمساواة التي أمره الله بها، وأن يمنع البغي ويزيل الظّلم، ويحقّق التّوازن الاجتماعي، والتّكافل والتّعاون، وإزالة أسباب الفُرقة والخصام والنّزاع بين الأفراد والجماعات، وسد كلّ ذريعة تدعو إلى قيام التّناحر والشّحناء والبغضاء، وصراع الطّبقات، فهو مجتمع الأمة الوسط الذي يحمل نور الهداية وراية الحقّ والعدل والسلام[6]. قال تعالى: "وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرسول عليكم شهيدا"[7].

---

[1] سورة الحديد، الآية 25.

[2] سورة الرحمن، الآيتان 7-9.

[3] سورة الشّورى، الآية 15.

[4] سورة الأحزاب، الآية 5.

[5] سورة النّجم، الآيات 38-41.

[6] الخطيب، عمر عودة، **المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنّظم البشرية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1399هـ/1979م، ص198، 199.

[7] سورة البقرة، الآية 143.

الفصـــل الثاني

أقســـام الظلم

المبحث الأول: الشرك با   .

المبحث الثاني: ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

المبحث الثالث: ظلم الإنسان لنفسه.

الفصـــل الثاني

أقســـام الظلم

يتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث؛ وقبل أن أدخل في تفاصيلها أذكر الحديث التالي الذي تتضح من خلاله أقسام الظلم، قال رسول ا ﷺ: الظّلم ثلاثة: فظُلْم لا يغفره ا ، وظُلْم يغفره، وظُلْم لا يتْركُه، فأما الظّلْم الذي لا يغفره ا فالشــرك، قال ا : "إن الشـرك لَظُلْم عظِيم"، وأما الظّلم الذي يغفره، فظُلْم العباد أنفُســهم فيما بينَهم وبين ربهم، وأما الظّلم الـذي لا يتركُـه ا فظلم العبادِ بعضهـم بعضـاً حتّى يدبر ِلبعضِهم من بعض"[1].

المبحث الأول

الشرك با

الشرك ظُلم لا يغفره ا تعالى إذا مات العبد وهو مصِر علَيه، بل هو أعظم أنواع الظلم، لقوله تعالى: "إن الشرك لَظُلْم عظِيم"[2].

"والكُفر با تعالى ظُلْم وشِــرك، لقوله تعالى: "والكـــافِرون هم الظالِمـون"[3]. فَمن ركَن إلى أهل الشرك – أي: مال إليهم – أو رضِي بِشيءٍ مِن أعمالِهم، فإنه مستحِق لأن يعذبه ا ، ويخذُلَه في الدنيا والآخِرة.

1الطيالِسي، أبو داود، **منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود**، وقال حديث حسن، ترتيب الشيخ أحمـد عبـد الرحمن البنّا، ط1، 1372هـ، المطبعة المنبرية، القاهرة، حديث رقم 2184، ج2، ص60، 61. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط1، 1352هـ، مكتبة المقدسي، ج 10، ص348.

"ويدبر ِلبعضِهم من بعض": أي ينتصر ويأخذ الحق لهم، "الدبر" و"الدبر": أي الظفر والنّصرة. انظر: **النهاية في غريـب الحديث والأثر**، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمـود محمـد الطنـاحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط 1399هـ/ 1979م، ج2، ص98.

2 سورة لقمان، الآية 13.

3 سورة البقرة الآية254.

والشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه"[1].

قال تعالى: "كَذَلِكَ لِنَصرِفَ عنْه السوء والفَحشَاء إنه مِن عِبادِنَا المخْلَصِين"[2]. وكذلك الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة، فإن الشرك أظلم الظّلم، كما أن أعدل العدل التوحيد، فالعدلُ قرين التوحيد، والظّلم قرين الشرك، ولهذا يجمع ا بينهما:

أما الأول: ففي قوله تعالى: "شَهِد ا ُ أَنه لَا إِلَه إِلا هو والمَلَائِكَةُ وأُولُوا العِلْمِ قَائِما بِالقِسطِ"[3].

وأما الثاني: فكقَولِهِ تعالى: "إِن الشرك لَظُلْم عظِيم"[4].[5].

وعن ابن عباس – رضي ا عنهما – قال: لما نزلت "الَذِين آمنُوا ولَم يلْبِسوا إِيمانَهم بِظُلْمٍ"[6]. شقّ ذلك على أصحاب رسـول ا صلى ا عليه وسلم، وقالوا: أينا لا يظلِم نفْسـه؟ فقال رسـول ا صلى ا عليه وسلم: ليـس كما تظُنّون، وإنّما كما قال لُقمان لابنِهِ: "يا بنَي لَا تُشْـرِك بِا إِن الشرك لَظُلْم عظِيم"[7].[8].

---

[1] الحكمي، محمد بن عبد ا علي، **الظّلم وأثره السيئ على الفرد والمجتمع،** ص21. الجزائري، أبو بكر، **منهاج المسلم،** دار الفكر، بيروت، ط8، 1396هـ/1976م، ص127. ابن عتيـق، حمـد بـن علـي بـن محـمد، **سـبل النجـاة والفكـاك،** تحقيـق: الوليد بن عبـد الرحمن العزيـان، مطـابع دار طيبـة، الريـاض، السـعودية، ط 1409هـ/ 1989م، ص50. ابن قيم الجوزية، شمـس الدين أبي عبد ا محمد، **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب،** حققه وعلق عليه الشـيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، مطابع النصر الحديثة، الرياض، السعودية، ص47.

[2] سورة يوسف، الآية 24.

[3] سورة آل عمران، الآية 18.

[4] سورة لقمان، الآية 13.

[5] ابن قيم الجوزية، شـمـس الدين أبـي عبـد ا محـمد، **الفـوائـد،** تخريـج وحواشـي: أحمـد راتـب عرموش، ط3، 1402هـ/ 1982م، دار النفائس، بيروت، ص106.

[6] سورة الأنعام، الآية 82.

[7] سورة لقمان، الآية 13.

[8] البخاري، **الصحيح،** محمد بن إسـماعيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. نص ما وجد علـى النـسـخة السـلطانية التي صار بالطبع عليها، كتاب التفسير، ج6،ص71، مطبعة دار الشعب، مـصر، 1378هـ. مـسلم، **الصحيح،** كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، ج1، ص8، دار المعرفة، بيـروت، مطبعـة دار التحريـر، 1329هـ.

وفي صحيح البخاري أيضاً عن عبد ا بن عباس قال: لما نزلت "الذين آمنُوا ولَم يلْبِسوا إيمانَهم بِظُلْمٍ" قال أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم أينا لم يظلم فأنزل ا "إن الشرك لَظُلْم عظِيم"[1].

ولما كان الشّرك أعظم أنواع الظلم الثلاثة عند ا عز وجلّ، حرم الجنةَ على أهلِه، فلا تَدخُل الجنةَ نفس مشركة، وإنّما يدخلها أهلُ التوحيد، فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له، لم يمكن الفتح به، وأسنان هذا المفتاح هي: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصِلَة الرحِم، وبر الوالدين... فأي عبد اتّخَذ في هذه الدار مفتاحاً صالحاً من التوحيد، وركب فيه أسناناً من الأوامر جاء يوم القيامة إلى باب الجنّة ومعه مفتاحها الذي لا تفتح إلا به، فلم يعقْه عن الفتح عائق، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه الدار بالتوبةِ والاستغفار، فإنه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده، فلا بد من دخول النار ليخْرج خبثه فيها، ويتطهر من درنه ووسخِه، ثم يخرج منها فيدخل الجنّة، فإنّها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب، قال تعالى: "الَّذِين تَتَوفاهم الملَائِكَةُ طَيِبين يقُولُون سلَام علَيكُم ادخُلُوا الجنةَ بِما كُنْتُم تَعملُون"[2]. وقال تعالى:"وسِيقَ الَّذِين اتقَوا ربهم إِلَى الجنةِ زمرا حتى إِذَا جاءوها وفُتِحتْ أَبوابها وقَالَ لَهم خَزنَتُها سلَام علَيكُم طِبتُم فَادخُلُوها خَالِدِين"[3]. أي بسبب طيبكم قيل لكم: ادخلوها.

وأما النّار، فإنّها دار الخبث في الأقوال والأعمال، والمآكِل والمشارب، ودار الخبيثين، قال تعالى: "لِيمِيز ا ُ الخَبِيثَ مِن الطيبِ ويجعلَ الخَبِيثَ بعضه علَى بعضٍ فَيركُمه جمِيعا فَيجعلَه فِي جهنم أُولَئِك هم الخَاسِرون"[4]. فا تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض، فيركُمه كما يركُم الشيء المتراكِب بعضه إلى بعض، ثم يجعله في جهنّم مع أهله، فليس فيها إلا خَبيث.

---

1 البخاري، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، ج1، ص15.

2 سورة النحل، الآية 32.

3 سورة الزمر، الآية 73.

4 سورة الأنفال، الآية 37.

ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيّب لا يشينُه خُبث، وخبيثٌ لا طيب فيه، وآخرون فيهم خُبثٌ وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفْنيان، ودار لِمن معه خُبث وطيب، وهي الدار التي تفْنى، وهي دار العصاة، فإنّه لا يبقى في جهنم مِن عصاةِ الموحدين أحد، فإنّهم إذا عذبوا بقَدر جزائِهم أُخْرِجوا من النار، فأُدخِلُوا الجنّة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض.[1] قال صلى ا عليه وسلم: "يخرج مِن النّار من قالَ لا إله إلا ا ، وكان في قَلْبِهِ مِن الخَير ما يزن شَعِيرةً، ثُم يخرج مِن النّار من قال: لا إله إلا ا ، وكان في قلّبِهِ من الخَير ما يزن برةً، ثُم يخْرج مِن النّار من قال لا إله إلا ا وكان في قلبِهِ ما يزن مِن الخَير ذَرةً"[2].

قال ابن القيم: الشرك شِركان:

- شِرك يتعلّق بذات المعبود، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.
- شِرك في عبادته ومعاملتِهِ، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله.

والشرك الأول نوعان:

- أحدهما: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشِرك فرعون إذ قال: "قَالَ فِرعون وما رب العالَمِين"[3]. وقال تعالى مخبراً عن فرعون، وقال لهامان: "وقَالَ فِرعون يا هامان ابن لِي صرحا لَعلي أَبلُغُ الأَسباب، أَسباب السماواتِ فَأَطلِع إِلَى إِلَهِ موسى وإِني لَأَظُنه كَاذِبا"[4]. والشرك والتعطيل متلازمان، فكلّ مشرك معطل، وكل معطل مشرك، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقِراً بالخالِق سبحانه وصفاته، ولكنّه عطل حقّ التّوحيد، وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها: هو التّعطيل، وهو ثلاثة أقسام:

---

[1] ابن قيم الجوزية، **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**، ص 48، 49.

[2] البخاري، **الصحيح**، كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذّات والنّعوت وأسامي ا ، ج9، ص150.

[3] سورة الشعراء، الآية 23.

[4] سورة غافر، الآيتان 36، 37.

1. تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه.

2. تعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه، وأفعاله.

3. تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التّوحيد.

- النوع الثاني: شرك من جعل مع ا إلها آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته، كشِرك النّصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلها، وأمه إلها. ومن هذا شِرك الذي حاج إبراهيم في ربه: "إِذْ قَالَ إِبراهِيم ربي الذِي يحيِي ويمِيتُ قَالَ أَنَا أُحيِي وأُمِيتُ"[1]. فهذا جعل نفْسه نِداً تعالى، يحيي ويميت بزعمه، كما يحيي ا ويميت، فألزمه إبراهيم عليه السلام أن طَرد قولِك أن تقدِر على الإتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي بها ا منها، وليس هذا انتقالاً كما زعم بعض أهل الجدل، بل إلزاماً على طردِ الدليل إن كان حقّاً.

وأما الشّرك بالعبادة: فهو أسهل من هذا الشرك، وأخفّ أمراً، فإنّه يصدر ممن يعتقد أنّه لا إله إلا ا ، وأنّه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا ا ، وأنّه لا إله غيره ولا رب سواه، ولكن لا يخاص في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظ نفسِه تارة، ولِطَلَب الدنيا تارةً، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخَلْق تارة، فَلِله من عمِله وسعيه نصيب، ولِنَفْسِه وحظه وهواه نصيب، وللشّيطان نصيب، وللخَلْق نصيب. وهذا حال أكثر النّاس، وهو الشّرك الذي قال فيه النّبي صلى ا عليه وسلم: "الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النّمل، قالوا: كيف ننجو منه يا رسول ا ؟ قال: قل اللّهم إني أعوذ بِك أن أُشرك بِك وأنا أعلم، وأستغفِرك لِما لا أعلم"[2].

فالرياء كلّه شرك، قال تعالى: "قُلْ إِنما أَنَا بشَر مِثْلُكُم يوحى إِلَي أَنما إِلَهكُم إِلَه واحِد فَمن كَان يرجوا لِقَاء ربهِ فَلْيعملْ عملًا صالِحا ولَا يشْرِك بِعِبادةِ ربهِ أَحدا"[3].

---

[1] سورة البقرة، الآية 258.

[2] الإمام أحمد بن حنبل، **المسند**، ج4، ص403. الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج10، ص227. وذكره الألباني في صحيح الجامع، برقم 3731 وأشار إلى صحته.

[3] سورة الكهف، الآية 110.

وكان من دعاء عمر بن الخطاب – رضي ا عنه – "اللهم اجعل عملي كلّه صالحاً، واجعلْه لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً"[1].

وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً، فإنّه ينزله منزلة من لم يعمله، فيعاقب على ترك الأمر. قال تعالى: "وما أُمِروا إلا لِيعبدوا ا مخْلِصِين له الدين حنَفَاء""[2].

"فمن لم يخلص في عبادته لم يفعل ما أمر به، بل الذي أتى به شيء غير الذي أُمِر بِه، فلا يصح، ولا يقبل منه، وقد سئل صلى ا عليه وسلم: أي الذّنب أكبر عِنْد ا ؟ قال:"أن تدعو نِداً وهو خَلَقَك..."[3].[4]

"ومن المعلوم عند جميع العقلاء أن كُلّ ما عبِد من دون الآلِهةِ ضعيف من كلّ الوجوه، وعاجز ومخذول، وهذه الآلهة لا تملِك لِنفْسِها ولا لغيرها شيئاً من ضر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو موت، أو خفض أو رفع، أو عز أو ذلّ، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتّصف بها الإله الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيفَ يرجى أو يخاف من هذه صفاته؟ وكيف يسأل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً"[5].

وقد بين ا تعالى ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال سبحانه وتعالى: "قُلْ أَتَعبدون مِن دون ا ِ ما لَا يملِك لَكُم ضرا ولَا نَفْعا وا ُ هو السمِيع العلِيم"[6]. وقال تبارك وتعالى: "أيشْرِكُون ما لَا يخْلُقُ شَيئًا وهم يخْلَقُون، ولَا يستَطِيعون لَهم نَصرا ولَا أَنْفُسهم ينْصرون،

---

[1] الإمام أحمد بن حنبل، **المسند**، كتاب الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط 1398هـ/ 1978م، ص118.

[2] سورة البينة، الآية 5.

[3] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده،ج1، ص63، 64.

[4] ابن قيم الجوزيـة، **الجواب الكـافي لمن سـأل عـن الدواء الشـافي**، تحقيق: مصطفى الشـلبي، ط 1414هـ/ 1994م، مكتبة السوادي، جدة، السعودية، ص 308، 316.

[5] انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجـع سـابق، ج2، ص327، ج3، ص290. الشـنقيطي، محـمد الأميـن بن محمد المختار الجكنى، **أضـواء البيان فـي إيضـاح القرآن بالقرآن**، ط 1403هـ، الرئاسة العامة للإفتاء، السعودية، ج2، ص482، 3ج، ص101، 322.

[6] سورة المائدة، الآية 76.

وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون، إن الذين تدعون من دون ا عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين، ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون، إن وليي ا الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون، وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون"[1].

وهي مع هذه الصفات لا تملك كشف الضر عن عابديها ولا تحويله إلى غيرهم. قال تعالى: "قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا"[2].

وقد أوضح وبين سبحانه وتعالى أن ما عبد من دونه قد توفّرت فيهم جميع أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كلّ وجه... وليس تعالى من هذه المعبودات من ظهير يساعده على ملكه وتدبيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له.[3] قال تعالى: "قل ادعوا الذين زعمتم من دون ا لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له..."[4].

مما سبق عرفنا أن هناك شركاً أكبر: وهو الشرك با لا يغفره ا تعالى إلا بالتوبة، وصاحبه إن لقي ا به؛ فهو خالد في النار أبد الآبدين، لقوله تعالى: "إن ا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"[5]. وقوله تعالى:"ومن يشرك با فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق"[6].

---

[1] سورة الأعراف، الآيات 191، 198.

[2] سورة الإسراء، الآية 56.

[3] انظر: الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج3، ص128، 129. السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، ج6، ص274.

[4] سورة سبأ، الآيتان 22، 23.

[5] سورة النساء، الآية 48.

[6] سورة الحج، الآية 31.

"ولذلك يقول المشركون من عباد القبور وغيرها لآلهتهم في النار: "تَا ـِ إن كُنا لَفِي ضلَالٍ مبِينٍ، إِذْ نُسويكُم بِرب العالَمِين"[1]. فقد سووا ما عبدوا من دون ا با تعالى في المحبة التي هي لب العبادة... وقد ذم ا تعالى الذين لا يعظمونه فقال: "ما لَكُم لَا تَرجون ـِ وقَارا"[2]؛ أي: عظمة: أي لا تخافون عظمة[3]. ولذلك نقول: إن الشّـر كلّه عائد بحذافيره إلى الإشـراك با عز وجلّ"[4].

أما النّوع الثاني من أنواع الشرك – وهو الشرك الأصغر – فإن صاحبه إن لقي ا به، فهو تحت المشيئة، إن شاء ا عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه، ولكن مآله إلى الجنّة، لأن الشّرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النّار، ولكن معرض للوعيد، فيجب الحذر منه.

ومن أنواعه الحلف بغير ا ، إن لم يقصد تعظيم المحلوف به، وإلا صار شركاً أكبر، قال صلى ا عليه وسلم: "من حلف بغير ا فقد أشرك"[5].

وكذلك الرياء وعدم الإخلاص في النّية رب العالمين، ولا يسلم المسلم من الشرك الأصغر إلا بالإخلاص وتجريد المتابعة للرسول صلى ا عليه وسلم. فالرياء كله شرك، وا تعالى يقول على لسان رسول ا صلى ا عليه وسلم ليعلم الناس: "قُلْ إِنما أَنَا بشَر مثْلُكُم يوحى إِلَي أَنما إِلَهكُم إِلَه واحِد فَمن كَان يرجوا لِقَاء ربهِ فَلْيعملْ عملًا صالِحا ولَا يشْرِك بِعِبادةِ ربهِ أَحدا"[6].

[1] سورة الشعراء، الآيتان 97، 98.

[2] سورة نوح،الآية 13.

[3] الرازي، **مختار الصحاح**، ص732.

[4] العلواني، سليمان بن ناصر، **التبيان شرح نواقض الإسلام**، لمحمد بن عبد الوهـاب، ط6، 1417هـ ـ/ 1996م، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ص8.

[5] أحمد بن حنبل، **المسند**، 69/2. أبو داود، **سنن أبي داود**، في كتاب الإيمان والنذور، باب كراهة الحلف بالآباء، حـديث رقم3251، صححه الألباني في **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الـدين الألبـاني، ط2، 1405هـ/ 1985م، المكتب الإسلامي، بيروت، حديث رقم 2561.

[6] سورة الكهف، الآية 110.

المبحث الثاني

ظلم الإنسان لأخيه الإنسان

وهذا الظلم يستوفيه الله كله، ولا يترك منه شيئاً، لأن فيه أذى للعباد في أعراضهم أو أبدانهم، أو أموالهم بغير حقّ، قال صلى الله عليه وسلم: "من كانت لأخيه عنده مظْلَمةٌ من عِرض أو مال فليتحلّلْه اليوم قبل أن تُؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له، أخذ من سيئاته، فجعلت عليه"[1]. فظلم العباد فيما بينهم من الحقوق والإصرار على إنكارها والعقوق، ظلم لا يتركه الله تعالى، قال تعالى: "وما ربك بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ".[2]

وظلم الإنسان لأخيه الإنسان له صور كثيرة، منها:

ظلم الآباء للأبناء:

ومن صورته: **تفضيل بعض الأولاد على بعض في العطية**، وقد وصف صلى الله عليه وسلم هذا بأنّه جور وأمر من فعله بإرجاعه، فيروي النّعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أعطاه عطيةً، فقالت عمرةُ بنت رواحةَ، لا أرضى حتّى تُشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنّي أعطيت ابني من عمرةَ بنت رواحةَ عطيةً فأمرتني أن أُشهدك يا رسول الله، قال: "أعطيتَ سائر ولدك مثل هذا"؟ قال: لا. قال: "فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم"، قال: فرجع فرد عطيته"[3].

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحلّلها له هل يبين مظلمته، ج3، ص170.

[2] سورة فُصلت، الآية 46.

[3] البخاري، **الصحيح**، كتاب الصلاة، باب الإشهاد في الهبة، ج3، ص206.

فلما كانت العطية لبعض الأبناء دون الآخرين، قد توقع العداوة بين الأولاد، وقطيعة الرحم بينهم، جاءت السنّة الصحيحة لتعارض ذلك وتمنعه، لما في ذلك من مصلحة ودرء مفاسد...[1].

ومن صور ظلم الآباء للأبناء:

إهمال الآباء حقوق أبنائهم:

لا شك في أن الأبناء بالنسبة لآبائهم وأمهاتهم، يعتبرون ثمرة الحياة الزوجية، وأملها المرتجى، وذكرها الممتد. وهم في الآخرة شفعاء لآبائهم وأمهاتهم إن ماتوا صِغاراً، مقربين إلى الله رب العالمين، وببركتهم يستجاب الرزق، وتتنزل الرحمة ويضاعف الأجر.

بيد أن هذا كلّه منوطٌ بحسن تربية الأولاد، وتنشئتهم النشأة الصالحة، التي تجعل منهم عناصر خير، وعوامل بر، ومصادر سعادة. فإن توافر للإنسان في أولاده هذا كلّه كانوا بحقّ زينة الحياة الدنيا، كما وصفهم الله عز وجلّ بقوله: "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"[2].

أما إذا غفِل الوالدان عن تربية الأولاد وتوجيههم الوجهة الصالحة كانوا بلاء ونكداً وعنتاً وشقاء وهماً واصبا، وراءه السهر في الليل والتعب في النهار[3].

والمسلم الحق الواعي يدرك مسؤوليته الكبرى إزاء أولاده حين يسمع نداء الله عز وجلّ لعباده المؤمنين: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ"[4]. وحين يسمع كذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته... والرجل راعٍ في أهله ومسؤولٌ عن رعيته..."[5].

---

[1] ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص36.

[2] سورة الكهف، الآية 46.

[3] الهاشمي، د. محمد علي، **شخصية المسلم**، مرجع سابق، ص 91.

[4] سورة التحريم، الآية 6.

[5] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"، ج9، ص77.

إنّها المسؤولية الشّاملة التي طوق بها الإسلام الوالدين وحملهما مسؤولية تربية أبنائهما تربية إسلامية دقيقة، وتنشئتهم التنشئة الصالحة، القائمة على مكارم الأخلاق التي أخبر صلى ا عليه وسلم أنّه ما بعث إلا لتمثيلها وتأصيلها بين الناس، إذ قال: "إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق"[1].

وليس أدلّ على عِظم مسؤولية الوالدين تجاه أبنائهما، وتنشئتهم على طاعة ا ورسوله وامتثال أمرهما، من قوله صلى ا عليه وسلم: "مروا أولادكم بالصلاة في سبع سنين، واضربوهم عليها في عشر وفرقوا بينهم في المضاجع"[2]. والضرب يكون للتأديب ليعتادوا عليها عند البلوغ. وقال علي بن أبي طالب في قوله تعالى: "قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا"[3] أي علّموهم وأدبوهم[4].

فعلينا أن نهتم بتربية أولادنا تربية صالحة، وإلا ظلمناهم، ولنتحمل النتائج. قال بعض أهل العلم: إن ا سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فكما قال تعالى: "وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا"[5]، وقال تعالى: "قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا"[6].

فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنّما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً،

---

[1] ابن حنبل، أحمد، **المسند**، ج2، ص 381، حديث رقم 8939. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، **السنن الكبرى**، مكتبة دار الباز، مكة، 1414هـ/1994م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، حديث رقم 20571. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط 1412هـ، دار الفكر، بيروت، ج8، ص188. وقال: حديث صحيح.

[2] أبو داود، **السنن**، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة. انظر: **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، بدون تاريخ، ج2، 161. الترمذي. انظر: **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، للإمام الحافظ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ج2، ص 445.

[3] سورة التحريم، الآية 6.

[4] ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، **تحفة المودود في أحكام المولود**، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ص 176. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، **الفقيه والمتفقّه**، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص 47.

[5] سورة العنكبوت، الآية 8.

[6] سورة التحريم، الآية 6.

فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبتِ إنك عقَقْتني صغيراً، فعقَقْتُك كبيراً، وأضعتني وليداً، فأضعتُك شيخاً.[1]

والمسلم أيضاً لا يهمل ولده خشية الفقر، خاصة عندما يكثر أولاده، فيسيبهم للشارع، ويهمل تربيتهم ويندب حظه، في الوقت الذي يتمنّى فيه من حرم الولد وكان عقيماً أو كانت امرأته عاقراً.. يتمنّى أن يكون له ولد من صلبه... فسبحان ا ... من الناس من لا يشكر ا على نعمة الولد، ومن الناس من يتمنّى أن يكون له ولد يحمل اسمه، ويلاعبه ويمشي معه ويخلّد ذِكره.. أما الصنف الأول فَممقُوتٌ كونه فِعل من أفعال أهل الجاهلية حين كان أحدهم يقتُل ولده خوف الفقر، أو من الفقر... وقد نهاهم ا عن ذلك لما جاء الإسلام، وأكّد لهم رزقه المقسوم لعباده، كباراً كانوا أو صغاراً، فقال سبحانه: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ"[2]، وقال تعالى:"وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ"[3]. فالمسألة تحتاج إلى تقوى ا عز وجلّ وحسن التوكّل عليه، حيث قال سبحانه: "وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"[4].

قال ابن كثير في قوله تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ".لما أوصى تعالى بالوالدين والأجداد، عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد، فقال تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ". وذلك أنّهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يئِدون البنات خشية العار، وربما قتلوا الذكور خشية الافتقار، ولهذا ورد في الحديث، عن النبي صلى ا عليه وسلم حين سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل ندّاً وهو خَلَقَك". يقول ابن مسعود – راوي الحديث – قلت: ثم أي؟ قال: "أن تقتلَ ولدك خشية أن يطْعم معك". قلت: ثم أي قال: "أن تُزاني حليلة جارك"[5]. ثم تلا رسول ا صلى ا عليه وسلم: "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ"[6]. ويتابع ابن كثير فيقول: وقوله

---

[1] انظر: **تحفة المودود**، لابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ص 176-180.

[2] سورة الأنعام، الآية 151.

[3] سورة الإسراء، الآية 31.

[4] سورة الطلاق، الآية 3.

[5] البخاري، **الصحيح**، كتاب التفسير، باب قتل الولد أن يأكل معه، ج6، ص137، تفسير سورة الفرقان.

[6] سورة الفرقان، الآية 68.

تعالى: "مِنْ إمْلَاقٍ". قال ابن عباس: هو الفقر؛ أي ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل، وقال في سورة الإسراء: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلَاقٍ"؛ أي لا تقتلوهم خوفاً من الفقر في الأجل، ولهذا قال هناك: "نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ"، فبدأ برزقهم للاهتمام بهم؛ أي: لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم، فهو على ا تعالى، وأما هنا فلما كان الفقر حاصلاً، قال: "نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ"؛ لأنه الأهم ههنا وا أعلم[1].

هذا ويروى عن الأحنف بن قيس رحمه ا ، أنّه قال: أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة، وبهم نصول ونجول على كل جليلة، فإن غضبوا فأرضِهم، وإن سألوا فأعطهم، وإن لم يسألوا فابتدِئْهم، ولا تنظر إليهم شزراً فيملّوا حياتك ويتمنّوا وفاتك[2].

وكلما كان الزوجان صالِحين موفّقين في حياتهما الزوجية، متحابين متعاونين، نشأ الأولاد مباركين بإذن ا ، محفوظين من همز الشياطين، بعيدين عن أسباب النكد والضغط النفسي، والعقد والانحراف والزيغ والأخلاق الذميمة؛ لأن صلاح الأبوين يعود بالخير على الأولاد عاجلاً وآجلاً في الحياة وبعد الممات، ولذلك قال تعالى:"وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا"[3].

فهذه الآية قيلت ونزلت بحق الأوصياء والأولياء الذين لو ماتوا وخلّفوا بعدهم ذُرية، فعليهم أن يتقوا ا ، فيعاملوا أبناء غيرهم الذين تحت وصايتهم بالشفقة والرحمة التي يحبونها لأبنائهم، وليقولوا لهم في مخاطبتهم وتربيتهم قولاً جميلاً فيه جبر لخاطرهم[4].

---

[1] الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج1، 631، 632. الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج8، ص62، 63. الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج2، ص177. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، مرجع سابق، ج2، ص1191.

[2] انظر: البيجاني، محمد بن سالم الكدادي، **إصلاح المجتمع "دين ا يحلّ المشكلات"**، تحقيق: مجيد بن علي الكدادي البيجاني، دار المجتمع للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، السعودية، ص 332.

[3] سورة النساء، الآية 9.

[4] الحمصي، محمد حسن، **تفسير وبيان مفردات القرآن**، ط مؤسسة البيان، بيروت، بإذن من دار الشامية للمعارف، بدمشق، ص78.

وقد اهتم الإسلام كثيراً باختيار الزوجة الصالحة؛ لأنّها سكن الزوج ومنبتُ الأولاد.

قال تعالى: "وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ"[1]. وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً"[2]. وقال تبارك وتعالى:"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً"[3].

وقال صلى ا عليه وسلم: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظْفَر بذات الدين تَربت يداك"[4].

فحتّى لا يظلم الآباء الأبناء ولا يضيعوا حقوقهم، خاصة في هذا الزمن الصعب والذي كثُرت فيه التحديات، وزاد فيه الفساد والانحلال والإهمال من المربين الذين شغلتهم الدنيا عن الآخرة، فأهملوا أبنائهم، ولم يراقبوهم، ولم يعطوهم جانباً من الاهتمام، كان لزوماً على الآباء والأمهات أن يرتفعوا إلى مستوى المسؤولية المناطة بهم، فيلتزموا تقوى ا تبارك وتعالى في حسن استقامتهم بأداء واجب الطاعة ، وحسن المعاملة لعباد ا ، عملاً بقوله تعالى: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ"[5].

واعتبر صلى ا عليه وسلم قُرب الأب من أبنائه وتقبيله لهم نوعاً من الصلة والرحمة التي قذفها ا في قلوب الآباء الرحماء..

فعن أنس رضي ا عنه قال: "أخذ النبي صلى ا عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه"[6].

---

[1] سورة البقرة، الآية 221.

[2] سورة النساء، الآية 1.

[3] سورة الروم، الآية 21.

[4] البخاري، **الصحيح**، كتاب النكاح، باب الأكفّاء في الدين، ج7، ص9.

[5] سورة الأنفال، الآية1.

[6] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج8، ص8.

وعن أبي هريرة رضي ا عنه قال: "قبل رسول ا صلى ا عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قبلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول ا صلى ا عليه وسلم ثم قال: من لا يرحم لا يرحم"[1].

وعن عائشة رضي ا عنها قالت: جاء إعرابي إلى النبي صلى ا عليه وسلم فقال: "تُقبلون الصبيان، فما نقبلهم، فقال النبي صلى ا عليه وسلم: "أو أملِك لك أن نَزع ا من قلبك الرحمة"[2].

ومن صور الظلم، **ظلم الأزواج:**

ومنه سوء معاملة الزوجة:

إن حسن العِشرة من الزوج لزوجته أمر لازم وحق قائم، ثبت في كتاب ا ، وسنة رسوله صلى ا عليه وسلم.

قال تعالى: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا"[3]. وقال تعالى:"وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ"[4]. وقال صلى ا عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"[5]. وقال صلى ا عليه وسلم: "من كان يؤمن با واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خُلِقْن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمه كسرتَه، وإن تركتَه لم يزلْ أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً"[6]. وقال صلى ا عليه وسلم: "... وإن لزوجك عليك حقاً"[7]. وقال صلى ا عليه وسلم: "اتقوا ا

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج8، ص9.

[2] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج8، ص9.

[3] سورة النساء، الآية 19.

[4] سورة البقرة، الآية 228.

[5] الترمذي، **السنن**، حديث رقم 3892.

[6] البخاري، **الصحيح**، كتاب النكاح، باب المداراة مع النساء وقول النبي صلى ا عليه وسلم: "إنما المرأة كالـضلع"، ج7، ص 34.

[7] البخاري، **الصحيح**، كتاب النكاح، باب لزوجك عليك حق، ج7، حديث رقم 41240.

في النساء، فإنّهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف"[1].

مما سبق يتبين لنا بأنّه يجب على كل من الزوجين أن يتعاشرا بالمعروف ويتحمل كل منهما أذى الآخر فليس أحد معصوماً، وكلمة [عَسَى] في الآية الكريمة من سورة النساء المذكورة في الآية سالفة الذكر – للرجاء، تجعل الأمل في الصبر على المشاكل الزوجية موضع رضا الله، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالنساء خيراً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً"[2].

إن حسن المعاشرة الزوجية كفيل بالقضاء على الخلافات الزوجية، وتحويل الأسرة إلى جنة عاجلة ينعم في ظلالها الوارفة جميع أفراد الأسرة، وما أجمل كلام أبي الدرداء لزوجته في هذا المجال إذ يقول لها: "إذا رأيتني غضبت فرضني، وإذا رأيتك غضبى رضيتُكِ، وإلا لم نصطحب، وأي مصاب وهم إذا عم سيخفّ وقْعه"[3].

إن الحياة الزوجية تستوجب الشعور بالمسؤولية وتقتضي هذه المسؤولية أن يرعى كل من الزوجين صاحبه ويرعى حقوق الآخر عليه وينفّذ ما عليه من الواجبات تجاه الآخر. وبذلك تكون حياتهما الزوجية سعادة كلها تغمرها المودة والمحبة والطمأنينة.[4]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وهي مسؤولة

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ج4، ص 41.

[2] ابن ماجه، السنن، ج1، ص 568. الترمذي، **السنن**، ج2، ص 204.

[3] الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد، **تذكرة الحفّاظ**، دار إحياء التراث العربي، مصورة عن طبعة وزارة المعـارف الحكومية بالهند، ص 24.

[4] الزيباري، د. عامر سعيد، **أحكام الخُلع في الشريعة الإسلامية**، ط1، 1418هـ/ 1997م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ص 34.

عنهم، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"[1].

فمن منطلق الشعور بالمسؤولية لا بد للزوج والزوجة من التناصح فيما بينهما، ويتعاونا على البر والتقوى والخير والمصلحة المشتركة، ويكون التشاور فيما بينهما سبيلهما في حياتهما الزوجية.[2]

كما أن للزوجة على زوجها أن يعلّمها ما لا بد من تعلّمه من أمور دينها في شؤون العقيدة والعبادة، فيعلّمها أركان الإسلام والإيمان، وأمور الطهارة من وضوء وغُسل جنابة وأحكام الحيض والنفاس والاستحاضة وسائر الأحكام الشرعية الضرورية قدر الإمكان، وأمور الصلاة والصيام وقراءة ما تيسر من القرآن، وبالأخص من قصار السور، ويعلّمها كيف تذكر ا تعالى وتلجأ إليه، فتكون من الذاكرين ا كثيرا والذاكرات، لقوله تعالى:" وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا"[3]. كما ويعلّمها عدم السماح لأحد من الرجال الأجانب بالدخول عليها في غيابه لحرمة ذلك، ولو كان من أقاربه أو أقاربها غير المحارم، لقوله صلى ا عليه وسلم: "إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار يا رسول ا : أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت"[4]. ومعنى الحمو: من الحمء، وهو كل من كان من قِبل الزوج كالأخ والأب[5].

ومن صور الظلم ظلم الجيران:

فحق الجار على جاره عظيم في جميع الرسالات السماوية، والعرب أنفسهم كانوا يعظّمون حق الجار، ويحترمون الجوار في الجاهلية والإسلام، ويعتزون بثناء الجار عليهم ويفخرون بذلك، والضعيف إذا جاور الأقوياء صار قوياً بهم، له مالهم، وعليه ما عليهم، فيعِز

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأحكام، باب قول ا تعالى: "وأطيعوا ا وأطيعوا الرسول"، ج9، ص 77.

[2] الزيباري، د. عامر سعيد، **أحكام الخُلع في الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ص35.

[3] سورة الأحزاب، الآية 35.

[4] البخاري، **الصحيح**، كتاب النكاح، باب لا يخلُون رجلٌ بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، ج7، ص 48.

[5] الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص 153.

بعد الذلّة، ويكرم بعد الهوان، يقول ابن عباس رضي ا عنهما: ثلاث خصال مستحسنةٍ كانت في الجاهلية والمسلمون أولى بها:

أولّها: لو نزل بهم ضيفٌ اجتهدوا في بِره. الثاني: لو كانت لأحدهم امرأة كبيرة عنده لا يطلقها ويمسكها مخافة أن تضيع. الثالث: إذا لحق بجارهم دين، أو أصابته شدة، اجتهدوا حتى يقضوا عنه دينه، وأخرجوه من تلك الشدة.[1]

وحين جاء الإسلام أكّد حق الجار، وحثّ عليه، وجعله كالقَرابة، وأمر بالإحسان إليه. فقال تبارك وتعالى: "وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"[2]. والجار ذي القُربى؛ يعني: الذي بينك وبينه قرابة. والجار الجنُب: الذي ليس بينك وبينه قرابة، وكذا روي عن عكرمة ومجاهد، وقال نوف البكالي في قوله تعالى: "وَالجَارِ ذِي القُرْبَى" يعني: الجار المسلم. "وَالجَارِ الجُنُبِ" يعني: اليهودي والنصراني. وقال مجاهد في قوله: "وَالجَارِ الجُنُبِ"؛ يعني: الرفيق في السفر. "وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ"؛ عن علي وابن مسعود قالا: هي المرأة. وقال ابن عباس ومجاهد: الرفيق في السفر، وقال سعيد بن جبير: هو الرفيق الصالح، وقال زيد ابن أسلم: هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر[3].

وكاد صلى ا عليه وسلم يورث الجار من شدة ما وصى به:

فقال صلى ا عليه وسلم: "ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننْت أنه سيورثُه"[4].

وقال صلى ا عليه وسلم: "وا لا يؤمِن وا لا يؤمن وا لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول ا ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه"[5] فحسن الجوار شرط اشترطه الإسلام لتمام الإيمان.

---

[1] انظر: **من وصايا الرسول صلى ا عليه وسلم**، شرح وتعليق: طه عبد ا العفيفي، دار التراث العربي، 1401هـ/1981م، القاهرة، مصر، ص66.

[2] سورة النساء، الآية 36.

[3] ابن كثير، الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج1، ص388، 389. الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج1، ص464. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، ج2، ص708.

[4] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، ج8، ص12.

[5] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ج8، ص12.

بل وزيادة على ذلك، جعل الرسول صلى ا عليه وسلم للجار حق الشفعة لقربه من جاره في الأرض ونحو ذلك فقال صلى ا عليه وسلم: "الجار أحقّ بسقَبِه"[1] وقرئت بالصاد بصقبه – بمعنى القرب[2].

ومع عظم المكانة التي أولاها الإسلام للجار، إلا أن هناك تفريطاً كبيراً يقع في هذا الجانب، من قِبل كثير من المسلمين وبصور شتّى، مما يؤكد ضعف الإيمان، وبعد الكثير من الناس عن تطبيق شرع ا والتزامه في حياتهم اليومية.. فلا يراعوا حق الجار، ولا يقدروا للجار قدره، بل يسيئوا إليه ويؤذونه بأنواع من الأذى.

فمن الناس من لا يعرف جاره الملاصق لبابه، وربما دامت الجيرة سنوات عديدة وهم لم يتعارفوا، وكُلٌّ منهم مشغول بعمله ومطالبه الدنيوية، ولا يسأل عن جاره وحاله وحاجاته.. فقد يكون فقيراً، أو محتاجاً، أو يبيت وهو جوعان... فأين الإيمان بحق الجار؟!

ومن الناس من يضايق جيرانه ويؤذيهم بإلقاء النفايات أمام دورهم، أو إراقة الماء أمام بيوتهم.. أو بإيقاف السيارة أمام أبوابهم، مما يشقّ عليهم دخول منازلهم، أو خروجهم منها.

ومن الناس من يؤذي جيرانه بالروائح الكريهة، بتربية الحيوانات والطيور في بيته للتجارة، فيثقل عليه التنظيف بشكل مستمر، فتنبعث الروائح الكريهة من مزرعته، فيؤذي جيرانه.. ولا يعتذر لهم، بل يتعمد ذلك.. وربما مرت مياه المجاري أمام بيوت جيرانه وتحدى جيرانه، واعتدى عليهم.. وهذا قمة في الظلم والعدوان، والاعتداء على حقوق الجيران.. مما يؤكد ضعف الإيمان عند هذا الصنف من الناس وإن كان مسلماً.

ومن الناس من يؤذي جيرانه بالجلَبة، ورفع الأصوات عبر مكبرات الصوت من مذياع، أو جهاز تسجيل ونحو ذلك.. ليزعج جيرانه وقت راحتهم، ولا يراعي لجيرة حرمة.

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب السلم، باب عرض الشّفعة على صاحبها قبل البيع، ج3، ص 115.

[2] الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص303. ابن منظور، أبو الفضل، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج1، ص 469. مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ج1، ص437. الزمخشري، جار ا محمود، **الفائق في غريب الحديث**، ط3، 1979م، دار الفكر، بيروت، ج2، ص307.

وقال صلى الله عليه وسلم: "لو اطّلع في بيتك أحد ولم تأذن له حذفْتَه بحصاةٍ، ففقأتَ عينَه ما كان عليك من جناح"[1].

ويتضح لنا من هذا الحديث، أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أهدر حق من نظر إلى بيت من دون إذن أهله، ففقأوا عينَه، فلا حقّ له عندهم، ولا إثم عليهم.

وروي أن رجلاً اطّلع في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فسدد إليه مِشْقَصاً[2]. والمِشْقَص: نصل، أو هو النّصل الذي له حد العين، أي حداً عريضة السهم[3]. مما يؤكد حقّ المسلم في الدفاع عن أهل بيته.. وهو حق له.

ومن الظلم الذي حرمه الإسلام ومنعه: **ظلم القاضي**. قال صلى الله عليه وسلم: "القضاة ثلاثة: اثنان في النّار، وواحد في الجنّة، رجلٌ علم الحقّ فقضى به فهو في الجنّة، ورجلٌ قضى للنّاس على جهلٍ فهو في النّار، ورجلٌ جار في الحكم فهو في النّار"[4]. وقال صلى الله عليه وسلم: "الله مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار تخلى الله عنه، ولزمه الشيطان"[5].

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الديات، باب من أخذ حقّه أو اقتص دون السلطان، ج9، ص9،8.

[2] البخاري، **الصحيح**، كتاب الديات، باب من أخذ حقّه أو اقتص دون السلطان، ج9، ص9.

[3] الحربي، أبو إسحاق إبراهيم، **غريب الحديث**، ط1، 1985م، دار المدني، جدة، السعودية، ج1، ص96. ابن منظور، أبو الفضل، **لسان العرب**، مرجع سابق، مج 7، ص48. الزبيدي، محب الدين أبو فيض، **تاج العروس**، ط 1994م، دار الفكر، بيروت، ج9، ص298.

[4] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **السنن**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، كتاب الأقضية، باب في القاضي يخطئ، حديث رقم 3556، ج9، ص487، 488. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، **السنن**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، كتاب الأحكام، حديث رقم2315، ج2، ص776.

[5] الترمذي، محمد بن عيسى، **السنن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، ط1، 1407هـ، كتاب الأحكام، حديث رقم 1345، ج4، ص 560. البيهقي، أبو بكر بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى**، ط1، 1406هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 88/10.

ومن صور الظلم: ظلم عموم الناس:

ومن ظلم عموم الناس **من أخذ شيئاً من الأرض ظلماً وعدواناً**... لقوله صلى ا عليه وسلم: "من اقتطع أرضاً ظلماً لقي ا وهو عليه غضبان"[1]. وقوله: "من أخذ من الأرض شيئاً ظلماً، جاء يوم القيامة يحمل تُرابها إلى المحشر"[2]. وقال صلى ا عليه وسلم: "من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين"[3].

ومنه تفزيع الناس:

فمن صور الظلم التي قد يلتبس على بعض الظالمين وأعوانهم أمرها، فيظنّون أن ما يقومون به خارج عن دائرة الظلم... وبالتالي فوعيد ا للظالمين من عذاب أليم لا ينطبق عليهم ولا يخصهم.. **تفزيع الناس في جوف الليل** للاعتقال وتفتيش المنازل... وما يحدثه ذلك من صدمات عصبية وأمراض نفسية للأطفال والنساء والشيوخ... والذي قد يستمر معهم إلى آخر حياتهم... كلّ ذلك يحدث وبدون مسوغ ظلماً وعدواناً... ناهيك عن التعذيب غير المبرر بصوره الشّتى المستحدثة والمستوردة، والذي قد يفضي إلى القتل في كثير من الأحيان، وإخفاء الجريمة... أليس هذا ظلماً بيناً؟ وهو من معالِم العصر الحديث... إضافة على هدم المنازل على أهلهما وهتك الأعراض والتشريد والمطاردة، وتعطيل المصالح ومصادرة الأموال أو تجميدها... ومنع الحريات... وسن القوانين الجائرة التي تُفرض على الشعوب المغلوب على أمرها... فليتذكر الظالمون وأعوانهم ما ينتظرهم من عذاب أليم يوم القيامة... إضافة إلى ما قد يصيبهم من آيات ليكونوا عبرة لمن يعتبر[4].

---

[1] مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فـاجرةٍ بالنـار، ج1، ص86. الترمذي، **السنن**، كتاب الأحكام، باب البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه، حديث رقـم 1355، ج1، ص570.

[2] ابن حنبل، أحمد بن محمد، **المسند**، ج4، ص172، 173.

[3] البخاري، **الصحيح**، كتاب المظالم، باب من ظلم شيئاً من الأرض، ج3، ص170.

[4] مشهور، مصطفى، **قضية الظلم في ضوء الكتاب والسنة**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ص 15، 16.

قال تعالى: "ولا تحسبن ا غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار"[1]. وقال رسول ا صلى ا عليه وسلم: "اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"[2].

ومن ظلم عموم الناس "الإرهاب":

فمن صور الظلم في عصر العولمة الذي نعيشه، الذي تتزعمه أمريكا **(الإرهاب)** وتتّهم المسلمين بأنّهم إرهابيون، علما بأن الإسلام حرص على مسالمة من يسالمه، وفي الوقت نفسه معاداة من يعاديه، وقد أنكر الإسلام الإرهاب، ودعا إلى الجهاد.

ففي الزمن الأخير أعلنت أمريكا الحرب على الإسلام، وأسمت حربها بأنّها حرب على الإرهاب؛ لأنها وحلفاءها يهابون الإسلام أن يحكُم، أو يحكم به في الأرض... فلا يعود للظالمين كيان... لأن الإسلام يرفض الظلم والعدوان... ويحارب أهله. قال تعالى: "لأنتم أشد رهبة في صدورهم من ا ذلك بأنهم قوم لا يفقهون"[3].

وتريد أمريكا أن تُجنّد العالم كلّه معها، وتجند العرب والمسلمين – ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً – أيضاً معها، لتحارب ما سمته هي الإرهاب.

وتركت مفهوم الإرهاب مائعاً رجراجاً، لتفسره هي كما يحلو لها، وتصف به من تشاء من الدول، ومن تريد من المنظمات والجامعات والأفراد.

فمن غضبت عليه أمريكا لأي سبب –أو لغير سبب– فهو إرهابي أثيم، يجب أن يحارب ويطارد ويتعقب، ويعاقب بكل أنواع العقوبات: العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

---

[1] سورة إبراهيم، الآية 42.

[2] البخاري، محمد إسماعيل، **الصحيح**، كتاب المظالم، باب: الظلم ظلمات يوم القيامة، ج3، ص169. مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، **الصحيح**، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ج8، ص18.

[3] سورة الحشر، الآية 13.

ونحن المسلمين نقرأ في كتاب الله عز وجلّ: "وَأَعِدوا لَهم ما استَطَعتُم مِن قُوةٍ ومِن رباطِ الخَيل تُرهِبون بِهِ عدو الله وعدوكُم"[1]. فهذا الإرهاب لأعداء الله وأعداء الأمة مشروع.

إنّما الإرهاب غير المشروع هو الذي يروع الآمنين، ويأخذ البرآء بذنب غيرهم، ولا يبالي ما سفَك من دماء، ولا ما دمر من منازل، ولا ما استحلّ من حرمات. وفي مثل هذا جاء الحديث النبوي الشريف "لا يحلّ لمسلم أن يروع مسلما"[2]. وقد جاء هذا الحديث في رجل تسبب في فزع مسلم، أخذ منه نعله وهو نائم، على سبيل المداعبة، فانتبه فزعاً، فقال صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلما".

حتّى أنّه صلى الله عليه وسلم حذّر المسلم أن يشير على أخيه بالسلاح ولو مازحاً، حتى لا ينزغ الشيطان بينهما فيؤذي المسلم أخاه أو يقتله بغير قصد، فيندم ساعة لا ينفع الندم. قال صلى الله عليه سلم: "لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنّه لا يدري لعلّ الشيطان ينزع أو قال – ينزغ – في يده فيقع في حفرة من النار"[3].

والإرهاب المرفوض شرعاً في نظر القرضاوي: أن تستخدم العنف فيما ليس بينك وبينه قضية، وإنّما هو وسيلة لإرهاب الآخرين وإيذائهم بوجه من الوجوه، وإجبارهم على أن يخضعوا لمطالبك، وإن كانت عادلة في رأيك. ويدخل في ذلك من وجهة نظر الشيخ القرضاوي، خطف الطائرات، واحتجاز الرهائن لدى المختطف، وقتل السياح، وضرب المدنيين البرآء.

ويقول: وإذا كنّا نُدين العنف بصفة عامة، فنحن نُدين الإرهاب بصفة خاصة، لما فيه اعتداء على أُناس ليس لهم أدنى ذنب يؤاخذون به، لقوله تعالى: "ولَا تَزر وازرةٌ وزر أُخْرى"[4]. ولِما فيه من ترويع البرآء الآمنين، وترويعهم في نظر الإسلام: ظُلم عظيم.

---

[1] سورة الأنفال، الآية 60.

[2] أبي داود، سليمان السجستاني، السنن، باب ترويع المسلم، حديث رقم 5004. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، ط5، مكتبة المعارف، الرياض، كتاب الأدب وغيره، الترغيب في الحياء وما جاء في فضله والترهيب من الفُحش والبذاءة، ج3، ص42، حديث رقم 2806.

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ج9، ص62، كتاب الفتن، باب قول النبي: من حمل علينا السلاح فليس منا.

[4] سورة الأنعام، الآية 164.

ويؤكّد الشيخ القرضاوي على ضرورة إدانة الإرهاب الذي يصدر عن الدول الظالمة المعتدية، كإرهاب الدولة الصهيونية المتجبرة في الأرض، التي بنيت على الإرهاب قبل أن تقوم، وتبنّت الإرهاب بعد أن قامت، وهي تستبيح الحرمات – لأنّها فوق القانون الدولي – حسب ما تعتبر نفسها، وتُبرر لها أمريكا وحلفاؤها جرائمها... فتستحلّ سفك الدماء، وتدمر المنازل، وتحرق المزارع، وتجرف الأراضي الزراعية، وتخرب كلّ شيء تطاله يدها بآلتها العسكرية المتطورة، فلا تتورع عن قتل طفل رضيع، أو شيخ كبير، أو امرأة في بيتها...

وهنا يقول القرضاوي: ولكن ليس من الإرهاب في شيء: أن يدافع الإنسان عن وطنه، ويقاتل محتلّيه وغاصبيه، المعتدين عليه، المستندين إلى ترسانتهم العسكرية الجبارة، وأن يقاتل أعداءه بما يملكُه من قوة، كأن يجعل من نفسه قنبلة بشرية، ويفجر نفسه في أعدائه الطغاة المستكبرين في الأرض بغير الحقّ، فهو يضع روحه على كفّه، ويضحي بنفسه فداء لدينه وأمته وقضيته، وهذا سلاح ملكه ا للضعفاء في مواجهة الطغاة.

ويبرر القرضاوي العمليات الاستشهادية للدفاع عن النفس والدين والأرض والعرض والمقدسات. ويقول بعد ذلك: فإذا كان النّظام العالمي الجديد جادا حقًا في محاربة الإرهاب – ولا أظنّه كذلك – فعليه أن يدين الإرهاب الحقيقي أولاً، وأن يقلم أظفاره، ويخمد ناره، وأن يقف بجوار الشعوب المقهورة، التي تُقاوم عدوها المحتلّ لأرضها بما تستطيعه وتملكه من وسائل وأدوات، فهي جهد المقِلّ، وطاقة العاجز.[1]

وليس ببعيد عنّا ما يجري من ظلم وعدوان –غير مبرر– على أرض فلسطين، والعراق، وأفغانستان، والصومال، والسودان،والشيشان، وغيرها من بقاع الأرض... وهو ظاهر للعيان... وبدعم وتأييد من الأمريكان وجنودهم وآلة حربهم العسكرية المتطورة، وسلاح الدمار الشامل الذي يملكونه!!

[1] القرضاوي، يوسف، **خطابنا الإسلامي في عصر العولمة**، ص160، 161.

ومن صور ظلم عموم الناس: **التجسس وكشف المساوئ والمعايب لغير عذر شرعي:** قال تعالى:"ولَا تَجسسوا"[1]. أي: لا تَتَبعوا شؤون الناس الخاصة بهم مما قد يتضمن عورة من عوراتهم[2].

والتجسس: هو تتبع الأخبار لمعرفتها. أو الفحص عن بواطن الأمور.

والجاسوس: الذي يتجسس الأخبار ليأتي بها[3].

والتجسس غالباً يطلق في الشّر ومنه الجاسوس[4].

والمعنى المقصود من الآية: خذوا ما تبدى لكم من ظواهر الأمور ولا تتبعوا عورات المسلمين لمعرفتها أو كشفها. أو لا يبحث المسلم عن أخيه المسلم ليطلع عليه بعد أن ستره ا .[5]

قال صلى ا عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد ا إخوانا"[6].

ومعلوم أن حب الاستطلاع طبيعة إنسانية، وما من إنسان سوي معتدل إلا وهو مفطور على محاولة الكشف عن الأمور المخبأة والبحث عن الأشياء المجهولة وعدم التوّقف عند حد معين من المعلومات، وتلك الغريزة هي التي تدفع الإنسان إلى الجري وراء ما في الكون من أسـرار وحقائق وغرائب، والتقدم الذي وصلت إليه البشرية في العلوم التجريبية بجميع أنواعها

---

[1] سورة الحجرات، الآية 12.

[2] الحمصي، د. محمد حسن، **تفسير وبيان مفردات القرآن على مصحف التجويد**، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، بـدون تاريخ، ص517.

[3] المقري، أحمد بن محمد بن علي الرافعي، **المصباح المنير**، المكتبة العلميـة، بيـروت، بـدون تـاريخ،ج1، ص110. مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، أشرف على طبعه: عبد السلام هـارون، مطبعـة النصر، القاهرة، 1380هـ، ج1، ص122.

[4] ابن كثير، الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1402هـ/1981م، ج3، ص365. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل للقرآن الكريم**، مرجع سابق، ج6، 3177.

[5] عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل للقرآن الكريم**، مرجع سابق، ج6، 3177.

[6] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا"، ج8، ص23.

يرجع الفضـــل فيه بعد الله عز وجـلّ إلى تلك الغـريزة... فهي نعمـة كبرى من نعـم الله التي لا تحصى.

إلا أن هذه الغريزة إنسانية ككلّ غريزة إنسانية يجب أن يكون انطلاقها، سواء في الصالح الخاص أو العام، على ضوء تعاليم السماء ومنهج خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم مضبوطة بقاعدة "لا ضرر ولا ضرار"، وبناء على ذلك فكلّ بحث وكشف مفيد ونافع للأمة فهو محمود ومرغوب فيه عقلاً وشرعاً وعرفاً، وكلّ بحث وكشف ضار بالفرد أو الجماعة أو بالأمة أو الحكومة المسلمة، فهو مذموم ومبغوض شرعا وعقلاً وعرفًا.

ومن الأول: الكشف عن أسرار الطبيعة ومعميات الكون، وخفايا الجسم الإنساني، وطوايا البحار والمحيطات، ومحتويات النجوم والأفلاك، والدأب الجاد للوصول إلى المخترعات التي ترقى بالإنسانية وتدفعها إلى التقدم الحضاري النافع. وتقيها الوقوع تحت سطوة المعتدين والظالمين والمغتصبين، ومنه تتبع أخبار الأعداء بكل وسيلة شريفة وطريقة مشروعة حتى ندرك كل ما يعدونه أو يكتشفونه للقضاء علينا والاعتداء على مقدساتنا وحرماتنا، أو لإثارة الفتن والمبادئ الكافرة أو الانحلالية بين أبناء أمتنا، وذلك كله داخل تحت قوله تعالى: "يا أيها الذِين آمنُوا خُذُوا حِذْرَكُم"[1]، وقوله تعالى: "سنُرِيهم آياتِنَا فِي الآفَاق وفِي أَنْفُسِهِم حتى يتَبين لَهم أَنه الحق"[2]، وقوله تعالى: "وأَعِدوا لَهم ما استَطَعتُم مِن قُوةٍ ومِن رِباطِ الخَيل تُرهِبون بِهِ عدو اللهِ وعدوكُم وآخَرِين مِن دونِهِم لَا تَعلَمونَهم اللهُ يعلَمهم"[3].

وهذا من النوع الثاني؛ المذموم تتبع الأخبار الخاصة والأمور المستورة لأي فرد أو جماعة من المسلمين للبحث عن العيوب والوقوف عليها، سواء لتكون معلومات خاصة بمن يتتبعه ويجري وراءها حتى يستغلها متى شاء، أو لتكون معلومات عامة تنشر بين الناس ويفضح بها أصحابها، كما تفعل الصحافة الساقطة، والكتّاب المفتونون، وبعض وسائل الإعلام المرئية والفضائيات، وكلنا نعلم أن الحكام الظالمين المستبدين أعداء الحرية الحقيقية والوطنية الصادقة

---

[1] سورة النساء، الآية 71.

[2] سورة فصلت، الآية 53.

[3] سورة الأنفال، الآية 60.

قد سخروا أموال شعوبهم المغلوب على أمرها، للبحث وراء أفراد أو جماعات، ودفعوا ذوي النفوس الخبيثة والضمائر الميتة من أتباعهم ومنافقيهم للدخول فيما بينهم كجواسيس في صور تابعين أو محبين، يريدون أن يعرفوا من الأسرار والأخبار ما يشوهون حقيقته ويبلّغونَه على غير وجهه الصحيح، طمعا في المال والمنزلة عند الحكام، ففسدت الأمور وضاعت الثقة وأُخِذ البريء وتُرك المجرم، وطفا على السطح طائفة المنافقين، واعتزل الحياة السياسية كرام الناس وخيارهم، وأُسند الأمر إلى غير أهله، وانعكست المفاهيم، فصار الظلم غايةَ العدل، والحرمان نهايةَ الترف، والشقاء والتعاسة قمةَ السعادة، والسجن والاعتقال والشنق بدون تحقيق شريف أو دفاع شرعي، أكبر نعمة في الدولة التي سقط حكامها، وركعوا لأعداء ا وذلوا وخضعوا لأوامرهم رغبة أو رهبة[1]، فكان هؤلاء الحكام الظلمة عوناً للكافر على شعوبهم التي غُلِب على أمرها، فأصبحت لا حول لها ولا قوة.

وهكذا يجب ان يفهم المسلمون دينهم، وأن يدركوا أن للمسلم ولكل إنسان مسالم حرمته، وأن حرمة المسلم في مسكنه وفي أقواله وأفعاله وآرائه يجب أن تصان وتُحترم، وأن من يعتدي على مسلم بالنظر إلى ما في بيته عن طريق التلصص والتجسس يعتبر جرما، وكذلك الرسالة والجواب المختوم لا يجوز فضه والنظر فيه بغير إذن صاحبه، وكذلك لا يحلّ التلصص والتجسس على ما يقوله الناس من كلام في خلواتهم ومناجاتهم، ومن فعل ذلك عذب في الدنيا بفضح أمره، وفي الآخرة بإذابة الرصاص في أذنه التي تتسمع بغير إذن، وينضم ّإلى ذلك التجسس لجهة معادية للإسلام والمسلمين عن طريق آلات التسجيل، والأقمار الصناعية، والهواتف النقالة، والثابتة، وأجهزة التنصت، ونحوها من الوسائل المتطورة، فالإنسان في ذاته وخاصة أمره له حرية، لا يجوز لأحد أن ينتهكها، وله كرامة يجب على الجميع احترامها.

أما التجسس على من يفعل معصية، كمن يظن أنه يريد أن يفعل فاحشة مع امرأة أجنبية، وعنده نية سوء مبيتة وملاحظة، فيجوز أن يراقب في حركاته المشكوك فيها، أو إنسان غَلب على الظن أنه متربص بآخر لقتله ظلماً وعدواناً، أو إنسان طبيعته الشريرة توجب تتبعه، أو إنسان غَلب الظن أنه يتعامل مع أعداء ا ويتجسس على المسلمين لصالحهم، فهؤلاء جميعاً

---

[1] الحكمي، محمد بن عبد ا علي، **الظلم وأثره السيء على الفرد والمجتمع**، مرجع سابق، ص 107، 109.

يجوز التجسس عليهم ومراقبتهم درءاً للفتنة، ومنعاً للمصيبة أن تقع بأحد من المسلمين، أو أن يلحق بأحد من المسلمين الضرر من العدو أو القتل أو الاغتيال.

أما تتبع عيوب الناس المستورين، الذين ستر ا عليهم، فإنه يعتبر جريمة محرمة وذنباً عند ا عظيماً، يأثم صاحبه، لإفشائه عيوب الناس التي لا يحبون أن يطّلع عليها أحد، وقد يكون ذلك غيبةً وبهتاناً، مما نهي الشّرع عنه. وقد أمر رسول ا صلى ا عليه وسلم المسلم أن يستر على أخيه المسلم ولا يفضحه، فقال: "... ومن ستر مسلماً ستره ا في الدنيا والآخرة..."[1]. وفي رواية البخاري: "ومن ستر مسلماً ستره ا يوم القيامة"[2].

ومن صور ظلم عموم الناس: التخريب المتعمد في الممتلكات:

كإشعال الحرائق لأسباب متعددة، مثل إخفاء عجز بالعهدة، أو الإضرار بأحد العاملين، أو إخفاء جريمة سرقة، أو إخفاء جريمة قتل، ولا يحصل هذا إلا من أصحاب المساوئ الخُلُقية، بما يحدث في الأمة زعزعة لأمنها واستقرارها، وترويعاً لأفرادها، وهذا مما حرمه الشرع ونهى عنه، وقد سبق ذكر الحديث الذي ينهى فيه صلى ا عليه وسلم عن ترويع المسلم لأخيه المسلم، فكيف إذا اعتدى عليه وعلى ممتلكاته، فهو أشد وأظلم. قال صلى ا عليه وسلم: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً"[3].

ومن علامات الساعة التي نبه إليها صلى ا عليه وسلم، وهي سِمة من سِمات هذا العصر، كثرة القتل من الإنسان لأخيه الإنسان ظلماً وعدواناً، وبغير حق. قال صلى ا عليه وسلم: "إن بين يدي الساعة أياماً يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتلُ"[4].

---

[1] صحيح مسـلم، **الصحيح**، كتاب البر والصـلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج8، ص18.

[2] صحيح البخاري، **الصحيح**، كتاب المظالم، باب "لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه"، ج3، ص186.

[3] أبو داود، **السنن**، باب ترويع المسلم، حديث رقم 5004.

[4] البخاري، **الصحيح**، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ج9، ص61.

وقد وسم الرسول صلى ا عليه وسلم من يضرب أخاه المسلم بالكفر والردة، فقال صلى ا عليه وسلم: "لا ترتدوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"[1].

ومن ظلم عموم الناس: أخذ أموال اليتامى ظلماً وبغير حق:

قال تعالى:"وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا"[2]

قال الغرناطي في هذه الآية: "هذا خطاب للأوصياء، وقيل: للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير، أُمروا أن يورثوهم، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء، فالمراد أن يؤتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة. وقيل: المراد: دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا، فيكون اليتيم على هذا مجازاً؛ لأن اليتيم قد كبر.

وقوله: "وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ" كان بعضهم يبدل الشّاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف، فنهوا عن ذلك، وقيل المعنى: لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث، وتَدعوا مالكم وهو الطيب.

وقوله: "وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ]"؛ المعنى: نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم، وقيل: نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أباح ذلك بقوله: "وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ"، وإنما تعدى الفعل بـ إلى؛ لأنه تضمن معنى الجمع والضم، وقيل: بمعنى مع. "حُوبًا" أي ذنباً.[3] وقال الرازي: الحوب هو الإثم.[4]

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى ا عليه وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"، ج9، ص63.

[2] سورة النساء، الآية 2.

[3] الغرناطي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: محمد اليونس وإبراهيم عوض، مطبعة حسان، القاهرة، مصر، بدون تاريخ، ج1، ص230 – 231

[4] الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص160.

"وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ" قال الشوكاني: نهاهم عن أن يصنعوا صنع الجاهلية في أموال اليتامى، فإنهم كانوا يأخذون الطيب من أموال اليتامى ويعوضونه بالرديء من أموالهم ولا يرون بذلك بأساً؛ وقيل، المعنى: لا تأكلوا أموال اليتامى وهي محرمة خبيثة وتَدعوا الطيب من أموالكم، وقيل: المراد: لا تتعجلوا أكل الخبيث من أموالهم وتَدعوا انتظار الرزق الحلال من عند ا . والأول أولى، فإن تبدل الشيء بالشيء في اللغة أخذه مكانه وكذلك استبداله، ومنه قوله تعالى:"وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ"[1]، وقوله:"أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ"[2].

"وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ" قال الشوكاني في معناها: ذهب جماعة من المفسرين إلى أن المنهي عنه في هذه الآية هو: الخلط، فيكون الفعل مضمناً معنى الضم: أي لا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم، ثم نُسِخ هذا بقوله: "وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ"[3]. وقيل: إن "إلى" بمعنى "مع" كقوله تعالى:" مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ"[4]. والأول أولى. والحوب: الإثم.[5]

ورعاية اليتيم تشمل كُل احتياجاته التي يحتاجها أمثاله، ومن ذلك: حسن تربيته وتعليمه، كما تشمل كفالته والاهتمام بمالِهِ إن كان له مال، حِفظاً، وتنميةً، وعدم الإسراف فيه، وللولي أو الوصي أن يتاجر بمال اليتيم ويشارك فيه حسبما يرى أنه يصلُح له، وللكفيل أن ينفق على نفسه من مال اليتيم بالمعروف إن كان فقيراً، ويكلّفه القيام باستثمار مال اليتيم الاشتغال عن التّكسب لنفسه، كما تُخول له الصلاحية في أن يخلط مال اليتيم بماله، ويخصم منه قدر نفقة الصبي حسب التقدير العادل عرفًا.

ولما نزلت الآيات المحذرة من أكل أموال اليتامى، عزل الصحابة رضوان ا عليهم أموال اليتامى عن أموالهم وصاروا يطعمونهم منعزلين عن أبنائهم، فشقّ ذلك على الأوصياء

---

[1] سورة البقرة، الآية 108.

[2] سورة البقرة، الآية 61

[3] .سورة البقرة، الآية 220.

[4] سورة آل عمران، الآية52، سورة الصف، الآية 14.

[5] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، مرجع سابق، مج1، ص 419. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل للقرآن الكريم**، مرجع سابق، ج2، ص650 – 651.

القائمين بكفالتهم، بل وعلى اليتامى أنفسهم، فرفع ا عنهم الحرج وأباح لهم خلط أموال اليتامى بأموالهم مع مراعاة العدل والإنصاف.[1] قال تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[2]

يقول الغرناطي: "كانوا قد تجنّبوا اليتامى تورعاً، فنزلت إباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم، وحذّر من الفساد، وهو أكل أموال اليتامى ظلماً، وقوله (لأعنَتَكم) أي: يضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم، قال ابن عباس: لأهلَكَكُم بما سبق من أكلِكُم لأموال اليتامى".[3]

وقد أوصى النبي صلى ا عليه وسلم باليتيم خيراً وبكفالته، وبين فضل ذلك فقال صلوات ا وسلامه عليه: "أنا وكافل اليتيم بالجنّة هكذا وقال بإصبعيه السبابة والوسطى"[4].

وسب الصحابة ظلم:

معلوم من الدين بالضرورة أن سب أصحاب رسول ا ﷺ ظلم وكبيرة من الكبائر لثبوت الأدلة الشرعية في الكتب والسنة، أن سب أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم عموماً أو خصوصاً، كبيرةٌ من كبائر الذنوب العِظام، كيف لا وهم أنصار رسول ا صلى ا عليه وسلم والمهاجرون معه والمجاهدون في سبيل ا بأموالهم وأنفسهم، وابتغاء مرضاة ا ، ولذلك فهم أصفى الناس قلوباً وأخلصهم نية.[5] قال تعالى: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ"[6].

"فهذا وصفٌ من ا تعالى للمسلمين الصادقين أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم، وهم خير قرنٍ في القرون، وأشرف طائفة من الناس في البرايا، أقلّتْهم هذه الأرض وذكرهم

---

[1] الحكمي، **الظلم وأثره السيء على الفرد والمجتمع**، مرجع سابق، ص 329 – 330.

[2] سورة البقرة، الآية 220.

[3] الغرناطي، **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل**، مرجع سابق، ج1، ص140 – 141.

[4] البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب فضل من يعولُ يتيماً، ج8، ص10.

[5] الحكمي، محمد بن عبد ا ، **الظلم وأثره السيء على الفرد والمجمع**، مرجع سابق، ص408.

[6] سورة الفتح، الآية 29.

التاريخ وإجلال الصحابة واجب لأنهم أصحاب محمد ﷺ خير البرية تربوا على عينه وتلقّوا وسمعوا منه القرآن والبيان.

والآيات في مناقب صحابة رسول ا صلى ا عليه وسلم كثيرة، منها قوله تعالى:

"يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[1]. وقال تعالى؛ مخاطباً أصحاب نبيه صلى ا عليه وسلم: "وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ"[2].

ففي هذه الآية الكريمة من سورة الحجرات، يذكّر ا تعالى صحابة رسول ا صلى ا عليه وسلم بأن النبي صلى ا عليه وسلم بين أظهرهم، فعليهم أن يعظّموه ويوقّروه، ويتأدبوا معه، وينقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحهم وأشفق عليهم من أنفسهم.. فلو أطاعهم في جميع ما يختارونه لأدى ذلك إلى عنَتِهم وحرجهم... كما قال ا سبحانه وتعالى: "وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ"[3]. لذا، فقد حبب ا إلى نفوسهم الإيمان وحسنه في قلوبهم.. وبغّض إليهم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار، والعصيان وهي جميع المعاصي، وهذا تدريج لكمال النعمة، فمن اتّصف بهذه الصفات فهو من الراشدين الذين آتاهم ا رشدهم.[4]

وأما الأحاديث الشريفة فمنها:

قوله صلى ا عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نَصيفَه"[5].

والمد والنّصيف: ضرب من المكاييل[6]؛ وفي هذا الحديث تعني: نفقة الصحابة.

---

[1] سورة التحريم، الآية 8.

[2] سورة الحجرات، الآية 7.

[3] سورة المؤمنون، الآية 71.

[4] الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج3، ص361.

[5] مسلم، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب سب الصحابة رضي ا عنهم، ج7، ص188.

[6] انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص618، 663. مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ج2، ص865.

وقال صلى ا عليه وسلم: "لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نَصيفه"[1].

ويكفي أن نستذكر هنا حديث رسول ا صلى ا عليه وسلم والذي ترويه عائشة رضي ا عنها، قالت: "سأل رجلٌ النبي صلى ا عليه وسلم: أي الناس خير؟ قال: القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث"[2].

وهناك أقوال للعلماء في سب الصحابة منها:

قول الإمام أحمد بن حنبل: إذا رأيت أحدا يذكر أصحاب رسول ا بسوء، فاتّهمه الإسلام[3]. وقال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل انتقص واحداً من أصحاب رسول ا ، فأعلم أنّه زنديق، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطِلوا الكتاب والسنة.[4]

وقال النووي: "واعلم أن سب الصحابة –رضي ا عنهم– حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنّهم مجتهدون في تلك الحروب"[5].

وقال الذهبي: "فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملّة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم"[6]. وقال الجلال البلقيني: "فمن سب الصحابة –رضي ا عنهم– أتى بكبيرة بلا نزاع"[7]. وقال الإمام مالك: "إنما هؤلاء قوم أرادوا

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب سب الصحابة رضي ا عنهم، ج7، ص188.

[2] مسلم، **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ج7، ص186.

[3] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، ط3، 1979م، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ج8، ص139.

[4] ابن حجر، أحمد بن علي، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط1، 1382هـ، دار صادر، وبهامشه: **الاستيعاب لمعرفة الأصحاب**، لابن عبد البر، ج1، ص10.

[5] النووي، يحيى بن شرف، **شرح الإمام النووي على صحيح مسلم**، مرجع سابق، ج16، ص93.

[6] الذهبي، شمس الدين أبو عبد ا محمد بن أحمد بن عثمان، **الكبائر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص261.

[7] ابن حجر الهيثمي، **الزواجر على اقتراف الكبائر**، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط2، 1420هـ 1999م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج2، 231.

القدح بالنبي صلى ا عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين"[1].

هذا وقد أجمع العلماء على عدالة صحابة رسول ا صلى ا عليه وسلم، وواجب المسلم نحوهم محبتهم والترضي عنهم، والدفاع عنهم، ورد من تعرض لأعراضهم.. ولا شك أن حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطُغيان.

أما بالنسبة للفتن التي جرت بين الصحابة، وموقف أهل السنة منها، مقابل من طَعن بالصحابة بسببها: قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي – في كتابه – معارج القبول:

"أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحلّ والعقد الذين يعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة –رضي ا عنهم– بعد قتل عثمان -رضي ا عنه– والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة، والاستغفار للقتلى من الطرفين والترحم عليهم، وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر مناقبهم، عملاً بقول ا عز وجلّ: "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ"[2].

وقد أكّد النبي صلى ا عليه وسلم أن صحابته أمَنَةٌ لأمته، فقال: "النجوم أمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمَنَةٌ لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"[3].

---

[1] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تحقيق: محمد عبد ا الحلواني، محمد كبير شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1417هـ، ص515.

[2] سورة الحشر، الآية 10.

[3] مسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة رضي ا عنهم، باب أن بقاء النبي صلى ا عليه وسلم أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة، ج7، ص183.

المبحث الثالث

ظلم الإنسان لِنفْسه

وهو ظلم لا يعبأ ا ُ به شيئاً، وهو بين العبد وبين ربه عز وجلّ[1]. فظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين ربه –كما وضحه الحديث– من صومٍ تركه، أو صلاةٍ تركها فإن ا عز وجلّ يغفر ذلك ويتجاوز عنه إن شاء[2].

كما أن ظلم العبد لنفسه يكون بتدنيس هذه النفس وتلويثها بآثار أنواع الذنوب والجرائم والسيئات من معاصي ا ورسوله.

قال تعالى: "وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"[3]، وقال تعالى:"وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"[4]، وقال تعالى:"وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ"[5]، وقال تعالى:"إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"[6]، وقال تعالى: "وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا"[7]، وآيات كثيرة جاءت في كتاب ا عز وجلّ في ظُلم النفس.

فمرتكب الكبيرة من الإثم والفواحش هو ظالم لنَفسه إذ عرضها لما يؤثر فيها من الخبث والظلمة، فتصبح به أهلاً للعنة ا ، والبعد منه تعالى[8].

---

[1] انظر ابن قيم الجوزية، **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**، ص47.

[2] انظر ابن قيم الجوزية، **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**، مرجع سابق، ص47.

[3] سورة البقرة، الآية 57. سورة الأعراف، آية 160.

[4] سورة النحل، الآية 33.

[5] سورة هود، الآية 101.

[6] سورة يونس، الآية 44.

[7] سورة النساء، الآية 110.

[8] الجزائري، أبو بكر جابر، **منهاج المسلم**، مرجع سابق، 163.

فا تعالى لا يتضرر بظلم الظالمين، وإنّما ضرر ظلمهم عائد على أنفسهم، نعوذ با تعالى من الظلم والظالمين. وإن هذا النوع من الظلم هو أخفّ أنواع الظلم وأسرعها محواً، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ونحو ذلك[1].

فلو أخذنا الصلاة التي تعتبر الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي العمود الذي يقوم به الدين، وهي العهد والفرق بين المسلم والكافر، للحديث "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"[2]. وقد جاء ذكر الصلاة في القرآن الكريم ما يزيد على مئة مرة لأهميتها، ولما فيها من صلة بين العبد وربه، فالصلاة مناجاة وخشوع، وتطهير للنفس من آثار الذنوب، وإعمار القلب." أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ"[3] وهي شكر على نعمه التي لا تحصى.

والصلاة هي العبادة الوحيدة التي لا تنفك عن المكلّف المسلم، وتبقى ملازمة له طول حياته لا تسقط عنه في أية حال، فهي أول ما أوجب ا على عباده من العبادات. وتارك الصلاة له حالتان: إما أن يتركها منكِراً لوجوبها، وإما أن يتركها تهاوناً وكسلاً وهو مقِر بوجوبها عليه.

فمن ترك الصلاة جاحداً لوجوبها، أو جحد وجوبها ولم يترك فِعلها في الصورة، فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين. ويستَتيبه الإمام، فإن تاب وإلا قتله بالردة، ويترتب عليه جميع أحكام المرتدين، هذا إن كان نشأ بين المسلمين، فأما إن كان قريب العهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة عن المسلمين بحيث يجوز أن يخفى عليه وجوبها، فلا يكفر بمجرد الجحد، بل نُعرفه بوجوبها، فإن جحد بعد ذلك كان مرتداً. أما تارك الصلاة تكاسلاً وتهاوناً من غير جحدها: لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمداً –من غير عذر شرعي– من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند ا أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا والسرقة وشُرب الخمر، وأنّه متعرض لعقوبة ا وسخَطِه وخِزيه في الدنيا والآخرة[4].

---

[1] ابن قيم الجوزية، **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**، مرجع سابق، ص47.

[2] الترمذي، **السنن**، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث رقم2621. النسائي، **السنن**، كتاب الصلاة، بـاب الحكم في تارك الصلاة، حديث رقم463. الإمام أحمد، **المسند**، حديث رقم22987.

[3] سورة الرعد، الآية 28.

[4] ابن القيم، شمس الدين أبي عبد ا محمد، **الصلاة وحكم تاركها**، دار الهلال، الرياض، السعودية، ط1387/1هـ. ص6.

ويكفي أن نستذكر هنا فرضية الصلاة ووجوبها على كل مسلم بالغ عاقل، ليؤديها في وقتها بخشوع كامل رب العالمين، حيث ثبت هذا في كتاب ا عز وجلّ وفي سـنّة رسـوله صلى ا عليه وسلم. فمما جاء في كتاب ا : قوله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ"[1]. وقوله تعالى: "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى"[2]. وقوله تعالى: "إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا"[3].

وأذكر هنا حديث رسول ا صلى ا عليه وسلم الجامع النافع، الذي إذا تمسك به المسلم كان حافظاً لنفسه من النار بإذن ا ، وكان بعون ا من الفائزين: فعن معاذ بن جبل رضي ا عنه قال: أوصاني رسول ا صلى ا عليه وسلم بعشر كلمات، قال: "لا تُشرك با شيئاً وإن قُتلت وحرقت، ولا تعصي والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة ا ، ولا تشربن خمراً فإنّه رأس كُلّ فاحشة، وإياك والمعصية فإن بالمعصية حلّ سخط ا عز وجلّ، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناس موت فاثبت، وأنفق على أهلك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفهم في ا "[4].

إذن الذي يظلم نفسه بتركه الصلاة، بإمكانه أن يتوب إلى ا عز وجل توبة صادقة نصوحاً، ويصلّي مخلصاً عز وجلّ، عملاً بقوله تعالى:"وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ "[5].

---

[1] سورة البقرة، الآية 110.

[2] سورة البقرة، الآية 238.

[3] سورة النساء، الآية 103.

[4] ابن حنبل، أحمد، **المسند**، حديث رقم 22128،ج5، ص238. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم، **المعجم الكبير**، مكتبة الزهراء، الموصل، العراق، ط2، 1404هـ/1983م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، حديث رقم 156. وقد صححه الألباني في **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي،ط2، 1405هـ/1985م، بيروت، لبنان، حديث رقم 2026. انظر: السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد، **الذخائر شرح منظومة الكبائر**، ط1، 1422هـ، تحقيق: د. وليد بن محمد العلي، دار البشائر الإسلامية، المدينة المنورة، ص 232،234.

[5] سورة البينة، الآية 5.

ومِثلُ الصلاة "الزكاة" لقوله تعالى:"خُذْ مِنْ أمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ"[1].

ومثلها الصيام لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[2].

وكذلك الحج لقوله تعالى: "وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ"[3]. وقال تعالى:"وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ للهِ"[4]. وقال تعالى:"وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ"[5].

وقوله صلى ا عليه وسلم: "العمرة إلى العمرة كـ فّارة لما بينهما، والحج المبرور ليـ س له جزاء إلا الجنّة"[6]. والمبرور: يعني المقبول، تقول أبر ا حجه: أي قبله[7].

ولا شك في أن كلّ إنسان مسلم معرض للخطأ أو النسيان أو ارتكاب المخالفات الشرعية، وهذا لا يعني النهاية، وأنه لا توبة له، بل إن ا تعالى قد فتح باب التوبة والاستغفار لعبده ما لم يغرغِر وينتهي أجله... فينقطع بذلك عمله، ولا توبة له... من هنا كان لزاماً على المسلم أن يسارع بالتوبة إذا ما عمل فاحشة، أو ارتكب معصية، قبل أن يأتيه الأجل، فيظلم نفسه، ويندم ساعة لا ينفعه الندم. قال تعالى:"وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

---

[1] سورة التوبة، الآية 103.

[2] سورة البقرة، الآية 183.

[3] سورة آل عمران، الآية 97.

[4] سورة البقرة، الآية 196.

[5] سورة الحج، الآية 27.

[6] البخاري، **الصحيح**، كتاب الحج، باب العمرة، وجوب العمرة وفضلها، ج3، ص2. مسلم، **الصحيح**، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ج4، ص107.

[7] الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص48.

السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ"[1]. وقال تعالى:"وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ"[2].

---

[1] سورة آل عمران، الآية 133.

[2] سورة آل عمران، الآية 135.

الفصل الثالث

عاقبة الظالمين، وأجر وثواب المظلومين

المبحث الأول: عاقبة الظالمين في الحياة الدنيا

المطلب الأول: عدم الإحساس بالأمن والاستقرار

المطلب الثاني: كثرة الأمراض والكوارث الطبيعية

المبحث الثاني: عاقبة الظالمين في الآخرة

المطلب الأول: يوم الحشر والوقوع بالندامة

المطلب الثاني: التصفيد بالسلاسل والأغلال

المطلب الثالث: الاستغاثة بأهل الجنّة، والاصطراخ لتخفيف العذاب

المبحث الثالث: إنصاف المظلومين في الحياة الدنيا وفي الآخرة

الفصل الثالث

عاقبة الظالمين، وأجر وثواب المظلومين

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عاقبة الظالمين في الحياة الدنيا

ويتضمن مطلبان:

المطلب الأول: عدم الإحساس بالأمن والاستقرار:

قال تعالى:"الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ"[1]. وقال تعالى:"فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[2].

والظلم المقصود به في الآية الأولى يعني الشرك.

وقال ابن كثير في تفسير الآية "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ". أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئاً، هم الآمِنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة[3].

أما المقصود بالآية "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ". أي تركوا ما ذُكروا به أي مما دعاهم إليه رسلُ ا فلم يتعظوا ولم يصدقوا، بل انهمكوا في المعاصي والآثام وفعل المنكرات. ولم يعبأوا بما نزل بهم من البأساء والضراء. وعقّب ذلك فتح ا عليهم أبواب كل شيءٍ من النعم الكثيرة كالرخّاء والرغد والسعة على سبيل الاستدراج للظالمين الغافلين السادِرين في الغي والظلم

---

[1] سورة الأنعام، الآية 82.

[2] سورة الأنعام، الآيتان 44-45.

[3] الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، مرجع سابق، ج2، ص26. الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج2، ص135. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج1، ص594. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل للقرآن الكريم**، مرجع سابق، ج2، ص1125.

والشّهوات. وذلك وجه من وجوه الفتنة الكبيرة التي تنشد إليها قلوب الكثير من البشَر ممن تستهويهم المغريات والشهوات، وتَستَذلهم مطامع الدنيا الكثيرة، فيهبطون منتكِسِين في ذِلة وخَورٍ. حتّى إذا كانوا ضالعين في الإعراض والغواية والملذّات أتاهم العذاب من حيث لم يحتَسِبوا.

أما معنى قوله تعالى في الآية: "حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ"[1]. أي فَرِحوا بطَراً، وظنّوا أن ما أُوتوه من الخير والعطاء الجزيل لا يفْنَى ولا يبيد، وأنه كان باستِحقاقِهم. عندئذ أخَذَهم ا بالاستئصال بغْتَةً أي فجأةً، وهي الأخذُ على غِرةٍ ومن غير أمارةٍ أو قرينةٍ مقّدمةٍ... ولا يخفى أن الإهلاك وإنزال النّقمة على حين غفلة أو غرةٍ من الظالمين لهو أشد نكايةً وإيلاماً. فضلاً عن كون ذلك جاء بعد رخاء وسعة من العيش الراغد...

قوله "فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ" أي: آيسون من كُل خير. والبلْس: من لا خير فيه.[2] وقال ابن كثير في معنى الآية: مكر بالقوم ورب الكعبة، أُعطوا حاجاتهم، ثُم أُخِذوا. وقال قتادة: بغت القوم أمر ا ، وما أخذ ا قوما قط إلا عند سكْرتِهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا با ، فإنه لا يغتر با إلا القوم الفاسقون. وقال مالك عن الزهري: "فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء" قال: رخاء الدنيا ويسرها. وقد قال الإمام أحمد عن عقبة بن عامر، عن النبي صلى ا عليه وسلم: إذا رأيت ا يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحِب، فإنما هو استدراج ثم تلا رسول ا صلى ا عليه وسلم: "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ"[3].

---

[1] سورة الأنعام، الآية 44.

[2] المقري، أحمد بن محمد بن علي الرافعي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلميـة، بيـروت، ج1، ص68. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ط2، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيـروت، ج2، ص208. الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، **تفسير القرآن**، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، تحقيق: أسـعد محمد الطيب،ج12، ص237.

[3] ابن كثير، الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج1، ص578،579.

وقوله تعالى: "فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا" الدابر، معناه: الآخر. والمراد بقطعهم هنا: استئصالهم عن آخِرهم فلم تبقَ لهم باقية. والمراد بالآية: أنهم استؤصِلُوا وأهلِكُوا. "وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ثناء من ا على نفسه الكريمة لإفناء هؤلاء الأشرار المفسدين الذين آذَوا النبيين والمرسلين والمصلحين ودوخوا العباد بمكرهم وكيدِهم. وعاثوا في البلاد فساداً وتخريباً. فكان في القضاء عليهم واستئصالِهم نعمة من ا على الناس؛ إذ تخلّصوا من شؤم عقائد الظالمين وفساد طبائعهم الحافلة بالخبث. فا ُ بذلك حقيق بالحمد والثناء، بل حقيق أن يحمده الناس ويبالِغوا بالثناء عليه باستئصاله للشّر والأشرار.[1]

ومن الذين عاقبهم ا بالدنيا عقاباً عاجلاً وتوعدهم بالعقاب الشديد في الآخرة، فأخافهم وأخزاهم في الدنيا... من منَعوا الناس من عمارة بيوت ا وذكر اسم ا فيها وسعوا في خرابها... فقال تبارك وتعالى مؤكداً أن هذا من الظّلم العظيم: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[2].

هذا الاستفهام– في الآية الكريمة– فيه أبلغ دلالة على أن هذا الظلم متناهٍ، وأنه بمنزلة لا ينبغي أن يلحقه سائر أنواع الظلم: أي لا أحد أظلم ممن منع مساجِد ا ، والمراد بمنع المساجد أن يذكر فيها اسم ا ؛ منْع من يأتي إليها للصلاة والتلاوة والذكر وتعليمه. والمراد بالسعي في خرابها: هو السعي في هدمِها وعدم رفع بنيانِها، ويجوز أن يراد بالخراب: تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها، فيكون أعم من قوله: "أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ"، فيشمل جميع ما يمنع من الأمور التي بنِيت لها المساجد كتعلم العِلْم وتعليمه، والقعود للاعتِكاف، وانتظار الصلاة؛ ويجوز أن يراد ما هو أعم مِن الأمرين من باب عموم المجاز كما قيل في قوله تعالى: "إنما يعْمُرُ

---

[1] الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط1405هـ، دار الفكر، بيروت، ج7، ص124. الآلوسي، أبو الفضل، شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج7، ص152. الرازي، **تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج12، ص238.

[2] سورة البقرة، الآية 114.

مساجِدَ الله". وقوله: "مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ"؛ أي: ما كان ينبغي لَهم دخُولَها إلا حالَ خوفِهم، وفيه إرشاد للعِباد من ا عز وجل أنه ينبغي لهم أن يمنَعوا مساجد ا _ من أهل الكُفر مِن غَير فَرقٍ بين مسجِدٍ ومسجِد، وبين كافرٍ وكافرٍ، كما يفيده عموم اللفظ، ولا ينافيه خصوص السبب. وأن يجعلوهم بحالة إذا أرادوا الدخُولَ كانوا على وجلٍ وخَوفٍ مِن أن يفطن لهم أحد من المسلمين فينزلُون بِهم ما يوجِب من الإهانةَ والإذلال، وليس فيه الإذن لنا بتمكِينهم من ذلك حال خوفِهم، بل هو كناية عن المنع لَهم مِنّا عن دخول مساجِدِنا. والخزي: قيل: هو ضرب الجِزيةِ عليهم وإذلالِهم، وقيل غير ذلك.[1]

ولا شَكَ في أن السؤال في الآية: "وَمَنْ أَظْلَمُ..." فيه نكير عن أولئك الذين يمنَعون مساجِد ا أن تُؤدى فيها العبادة من صلاة وموعظةٍ وغيرها...

وقال ابن كثير: اختلف المفَسرون في المراد من الذين منَعوا مساجِد ا _ وسعوا في خرابها على قولين: أحدهما: هم النّصارى، كانوا يطرحون في بيت المقْدِسِ الأذى، ويمنعون الناس أن يصلّوا فيه. القول الثاني: ما رواه ابن جرير عن ابن زيد قال: هؤلاء المشركون الذين حالُواْ بين رسول ا صلى ا عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخلُوا مكّة، حتى نَحر هديه بذي طوى، وهادنَهم وقال لهم: "ما كان أحد يصد عن هذا البيت، وقد كان الرجلُ يلْقَى قاتِلَ أبيه وأخيهِ فلا يصده" فقالوا: لا يدخلُ علينا من قَتَل آباءنا يوم بدرٍ وفينا باقٍ.

وعن ابن عباس أن قريشاً منعوا النبي صلى ا عليه وسلم الصلاةَ عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل ا : "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ". واختار ابن جرير القول الأول، واحتج بأن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة، وأما الروم فَسعوا في تخريب بيت المقدس.

أما ابن كثير فقال: والذي يظهر – وا أعلم– القول الثاني كما قاله ابن زيد فإنه تعالى لما وجه الذم في حق اليهود والنصارى، شَرع في ذم المشركين الذين أخْرجوا الرسول صلى ا

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج1، ص131.

عليه وسلم وأصحابه من مكّةَ ومنَعوهم من الصلاة في المسجدِ الحرام، وأما اعتماده على أن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة، فأي خراب أعظَم مما فَعلُوا؟ أخرجوا عنها رسول ا صلى ا عليه وسلم وأصحابه واستَحوذُوا عليها بأصنامِهم وأندادِهم وشِرِكِهم، كما قال تعالى:"وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ"[1]. وقوله تعالى: "مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ"؛ أي: لا تُمكنوا هؤلاء إذا قَدرتُم عليهم مـن دخُولِها إلا تحت الهدنةِ والجزية، ولهذا لما فتَح رسـول ا صلى ا عليه وسلم مكّة أمر مِن العام القابِل في سنة تِسعٍ أن ينادى بِرِحابِ مِنى: ألا لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان له أجلٌ فأجلُه إلى مدته. وقيل: إن هذا بشارة من ا للمسلمين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد، وأنّه يذل المشركين لهم حتّى لا يدخُل المسجد الحرام أحد منهم إلا خائفاً يخاف أن يؤخذ فيعاقب أو يقتلُ إن لم يسلِم، وقد أُنجِز هذا الوعد بِعون ا ...[2].

غير أن مفهوم هذه الآية يمكن انسحابه على كلّ حادثة تتضمن منع مساجد ا أن يذكر فيها اسمه. فإن صد المسلمين عن الصلاة في بيوت ا ، والحيلولة بين أهل العِلم وكلمة الحق يقولونها على الملأ، والنّصيحة، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فذلك كلّه مِن ضروب المنع لمساجدِ ا أن يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها.

"أولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ" طلب ا من المسلمين ألا يمكنوا المشركين من دخول بيوت ا إلا تحت الهدنة والجزاء وهم متهيبون وجِلون. "لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" قد أعد ا لأولئك المشركين الذين يمنعون مساجد ا أن يذكر فيها اسمه والذين يسعون كذلك في خرابها ألواناً من الخِزي والذّلّةِ ترهقُ وجوههم لِيبوءوا بِسخَط من ا وغضب. حتّى إذا دخَلُوا الدار الآخرة واجههم هناك العذاب الشديد البئيس الذي لا تطيقه طبائعهم ولا جسومهم؛ لفرط ما يسومون من هول التعذيب الأليم الموجِع[3].

---

[1] سورة الأنفال، الآية 34.

[2] ابن كثير، الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج1، ص114.

[3] عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل للقرآن الكريم**، مرجع سابق، ج1، ص166،167.

وآية أخرى ضرب ا فيها مثلاً للظالمين، ليعتبر من يعتبر، بعدم الإحساس بالأمن والاستقرار لِمن كفَر بأنعم ا ... والشّعور بالخوف إضافة إلى الجوع وعدم الطمأنينة... قال تعالى: "وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ"[1]. جعل ا من حال أهل مكّة المشركين العتاة مثلاً لِكُلّ متعِظ معتبِر.

فهذه مكة كان أهلها ينعمون بالأمن والطمأنينة والاستقرار، في الوقت الذي كان الناس من حولهم في الأمصار والبوادي يقتُلُ بعضهم بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً، فكان أهل مكة لا يعتدي عليهم أحد، ومن دخَلها كان آمناً لا يخاف...، كما قال تعالى:" أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا"[2] وهكذا قال ههنا: "يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا"؛ أي هنيئاً سهلاً، "مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ"؛ أي جحدت آلاء ا عليه وأعظمها بعثة محمد صلى ا عليه وسلم إليهم، والأنعم جمع نعمة... فهم قد تلبسوا بالكُفر والظلم والصد عن دين ا ، وجحدواْ نِعم ا ِ عليهم، فبدلَ أن يشكُرواْ ا َ، طغَواْ وبغَواْ وانثنوا عن مِلّةِ التوحيد وراحوا يعذبون المسلمين المستضعفين منهم، كما قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ القَرَارُ "[3].

ولهذا بدلَهم ا ُ بحاليهم الأولين خلافهما، فقال: "فأذاقها اللهُ لِبَاسَ الجوعِ والخَوْف"؛ أي: ألْبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليها ثمرات كلّ شيء ويأتيها رزقها رغداً من كُلّ مكان، وذلك أنهم استعصوا على رسول ا صلى ا عليه وسلم وأبوا إلا خِلافَه فدعا عليهم وقال:"اللهم اشدد وطأتَك على مضَر واجعلها عليهم سنين كَسِني يوسف" فابتُلوا بالقَحط حتى أكلُوا العظام... والوعيد هنا يشمل مكة ومن كفَر بأنعم ا بعدها فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. "فأذاقها اللهُ لِبَاسَ الجوعِ والخَوْف" فهم بدلوا بأمنِهم خوفاً من رسول ا صلى ا عليه وسلم

[1] سورة النحل، الآيتان 112،113.
[2] سورة القصص، الآية 57.
[3] سورة إبراهيم، الآية 28.

وأصحابه، حين هاجروا إلى المدينة من سراياه وجيوشه، وجعل كل ما لهم في دمار وخراب وزوال، حتّى فتَحها ا ُ على رسوله صلى ا عليه وسلم، وذلك بسبب صنيعهم وبغْيِهم وتكذيبهم الرسول صلى ا عليه وسلم الذي بعثه ا ُ فيهم منْهم وامتن به عليهم في قوله: "لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ"[1] فهم جحدوا بعثة النبي صلى ا عليه وسلم وكذبوا ما جاءهم به من رسالة ودين "فأخَذَهُم العذابُ"؛ أي أهلكهم ا ُ؛ إذ أذاقهم لباس الجوع والخَوف والقتل بدلاً مما كانوا فيه من الأمن والاستقرار والبحبوحة والطمأنينة والسعة... كلّ ذلك أصابهم كونهم تلبسوا بالظلم وهو الإشراك با والصد عن سبيل ا [2].

ونحن نستذكر هنا وعيد ا للظالمين في كل زمان ومكان حتى لا يستقر لهم حال، ولا يهدأ لهم بال، حيث يقول:" وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"[3].

المطب الثاني: كثرة الأمراض والكوارث الطّبيعية:

لا شك في أن الإصرار على المعاصي والسيئات من أسباب الابتلاء بالفَقر، والضيق في العيش، والإصابة بالأمراض والأسقام، والحِرمان من الخيرات العاجِلة والآجِلة، وهي أعظم الأسباب في إهلاك الأمم والجماعات والأفراد بالدمار والهلاك...

قال تعالى: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ"[4]. وهو سبحانه يعفو عن كثير من السيئات فلا يجازي عليها "وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا"[5].

---

[1] سورة آل عمران، الآية 164.

[2] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج14، ص126. الشوكاني، **فـتح القـدير**، ج3، ص201،199. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج2، ص350،394. عبد العزيز، أميـر، **التفسير الشامل**، ج4، ص1972،1971.

[3] سورة الشعراء، الآية 227.

[4] سورة الشورى، الآية 30.

[5] سورة فاطر، الآية 45.

وكُلّ ما يحدث في الأرض من المصائب، وقِلّة الثّمار، وندرة الأمطار، والزلازل والبراكين، والفيضانات والأعاصير، والأمراض الخبيثة القاتلة التي لم تكن في أسلافِنا الذين مضوا، كمرض السرطان، والأيدز وغيرها من أمراض تصيب الإنسان عن طريق الحيوان كمرض جنون البقر، ومرض أنفلونزا الطيور وغيرها، وما لا ينسى زلزال تسونامي الذي وقع في السادس والعشرين من تشرين أول عام 2004م، والذي أهلك مئات الآلاف من البشر وشرد مثل ذلك، إلا من آيات ا التي يحذر بها عباده لَعلهم يرجعون، فإن ما يصيب الإنسان هو عقوبة بعض ما عمل الناس من الذّنوب ليعتبر من يعتبر، ويعود عن غِيهِ من يعود... قال تعالى: "ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"[1]. وقال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ"[2]. وقال تعالى: "فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ "[3]. وقال تعالى:"فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ"[4].

والمتدبر للقرآن الكريم، يجد صوراً ضربها ا أمثلةً ليعتبر أولوا الأبصار، لِما حلّ بقرى في الأرض أخذها ا تعالى بالدمار أو الحرمان من الخيرات التي كانت بين أيديهم بسبب ظُلمهم أنفسهم واستكبارهم وعدم شُكرهم الرزاق، ومن ذلك ما حلّ بفِرعون وقومه. قال تعالى:"كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ" [5]. وقال تعالى عن فرعون وقومه: "كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ

---

[1] سورة الروم، الآية 41.

[2] سورة هود، الآية 102.

[3] سورة النمل، الآية 52.

[4] سورة البقرة، الآية 59.

[5] سورة الأنفال، الآية 54.

وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ"[1]؛ أي ناعمين، متفكّهين...[2] وغير ذلك كثير مما حلّ بالقُرى المكذّبة للرسل، عليهم الصلاة والسلام[3].

هذا وقد ذكر القرآن الكريم كيف أخذ ا ُ أفراداً وجماعات أخذاً عاجلاً وحرمهم من الخَيرات التي كانوا ينعمون بها... ومن هؤلاء قوم سبأ، وما كانوا فيه من النعم والغبطة والسرور، فلم يشكُروا ا ، فحلّ بهم الخراب والدمار والحرمان.

قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الكَفُورَ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ، فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ"[4].

- وما ذكر ا ُ في قصة قارون كذلك في سورة القصص[5].
- وصاحب الجنتين كذلك الذي تكبر على صاحبه الفقير[6].
- وأصحاب الجنّة الذين تعاهدوا أن يحرموا الفقراء والمساكين فحرمهم ا جنتَهم ودمرها[7]. وغير ذلك كثير...

كما وذكر ا تعالى مصير الأمم التي كذّبت رسلَها، مما لهذا الذكر من عظيم الأثر والوقع في النفوس؛ لأنه من أعظم العِبر لِمن اعتبر؛ ولأنّه يبين سنّة ا –عز وجلّ– فيمن كذّب الرسلَ عليهم الصلاة والسلام، أو وقف مِن دعوتِهم موقف الإعراض والاستكبار، ثُم بعد إقامة

---

[1] سورة الدخان، الآيات 25،27.
[2] الحمصي، محمد، تفسير وبيان مفردات القرآن، مرجع سابق، ص497.
[3] انظر: سورة الأنعام، الآيات 42-45. والأعراف، الآيات 94-100. والنحل، الآية 112. والقصص، الآية 58.
[4] سورة سبأ، الآيات 15-19.
[5] انظر: سورة القصص، الآيات 76-81.
[6] انظر: سورة الكهف، الآيات 33-43.
[7] انظر: سورة القلم، الآيات 17-27.

الحجة عليهم وقع بهم الدمار والهلاك[1]، ومن ذاك قوله عز وجل لمحمد صلى ا عليه وسلم: "وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ، وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ، وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ، فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ"[2].

وقوله تعالى:" وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ، فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"[3].

ومن أنواع عذاب بعض هؤلاء المكذّبين والظالمين، على سبيل المثال:

1. قوم نوح: أهلكهم ا –عز وجلّ– بالغَرق فقال: "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ"[4].
2. عاد قوم هود: سلّط ا عليهم الريح فألقَتْهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نَخْلٍ منقَعِرٍ، خاوية، فدمرت الريح كل شيءٍ بأمر ربها[5].
3. ثمود قوم صالح: أرسل ا عليهم الصيحةَ حتّى قطّعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخِرهم فأصبحوا في دارهم جاثمين[6].

---

[1] القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، **الحكمةُ في الدعوة إلى ا تعالى**، ط3، 1417هـ/1997م، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ص499.

[2] سورة الحج، الآيات 42-45.

[3] سورة العنكبوت، الآيتان 39-40.

[4] سورة القمر، الآيتان 11-12.

[5] انظر: سورة الأحقاف، الآيتان 24-25. وسورة الحاقة، الآيات 6-8. وسورة القمر، الآيتان 19-20.

[6] انظر: سورة الأعراف، الآية 78. والذاريات، الآيات 43-45. والقمر، الآيات 29-31. وسورة الحاقة، الآية 5.

4. قوم لوط: رفع ا قُراهم إلى السماء، ثم قلَبها علَيهم فجعل عالِيها سافِلَها، ثُم أَتْبعهم بحجارة أمطَرها عليهم، ولإخوانِهم أمثالها[1].

5. مدين قوم شُعيب: أظَلَتْهم سحابةٌ وأمطَرت علَيهم شَرراً مِن نار، ولَهباً ووهجاً، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض من أسفل منهم[2].

6. فرعون وقومه: أغرقَهم ا في البحر[3].

7. قارون: خَسف ا به وبداره الأرض[4].

فهذا غَيض من فَيض من آيات ا في الأفراد والأمم الظالمة، بما فيها من عِبر وعِظات لِمن يعتبر: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"[5]. نسأل ا العفْو العافية. فتبارك ا القائل:"بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" [6]. وجاء في الحديث عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه قال: "إن ا تعالى لَيملي للظّالِم حتّى إذا أخَذَه لم يفلِتْه". ثم قرأ: "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ"[7].[8]

---

1 انظر: سورة هود، الآية 81. والحِجر، الآية 82. وسورة الذاريات، الآية 33.

2 انظر: سورة الشعراء، الآية 178. وسورة هود، الآية 94. وسورة الأعراف، الآية 91.

3 انظر: سورة يونس، الآيات 88-91. والزخرف، الآيات 51-56.

4 انظر: سورة القصص، الآيات 76-82. وانظر: القحطاني، **الحكمة في الدعوة إلى ا تعالى**، مرجع سابق، ص 500،501.

5 سورة ق، الآية 37.

6 سورة البقرة، الآية 117.

7 سورة هود، الآية 102.

8 البخاري، **الصحيح**، كتاب التفسير، تفسير سورة هود، ج6، ص93،94. مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم،ج8، ص19.

المبحث الثاني

عاقبة الظالمين في اليوم الآخر

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: يوم الحشْر والوقوع بالندامة:

يقول ا تعالى: "وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"[1]. ويقول ا تعالى: "وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّين، هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ، احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلى صِرَاطِ الجَحِيم"[2].

فيخبر ا تبارك وتعالى في كتابه العزيز عن قيل الكُفّار يوم القيامة، أنّهم يرجعون على أنفُسِهم بالملامةِ، ويعتَرفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفُسِهم، فإذا عاينوا أهوال القيامة، نَدِموا كُلَّ النّدامةِ حيثُ لا ينفَعهم النّدم، ولا يفيدهم التأسف، "وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّين"، فتقول لهم الملائكة والمؤمنون: " هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ"، على وجه التقريع والتّوبيخ، ويأمر ا ُ تعالى الملائكةَ أن تُميز الكُفّار مِن المؤمنين، في الموقف في محشَرهم ومنْشَرهم، وأن يجمعوا الظالمين ومن تَبِعهم من أزواجِهم الذين هم أمثالهم ومن عبدوهم من دون ا تعالى، حيث الجحيم المقيم في نارٍ وقودها النّاس والحجارة، ولهذا قال ا تعالى:" احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ".

وقال النعمان بن بشير: يعني بأزواجهم: أشباههم وأمثِالهم، وقال عمر بن الخطاب: وأزواجهم أي: إخوانهم، وروى النعمان بن بشير عن عمر أنّه قال في معنى وأزواجهم: َأشباههم، قال: يجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الخَمر مع أصحاب الخَمر.

---

[1] سورة المائدة، الآية 96.

[2] سورة الصافات، الآيات 20-23.

وقال ابن العباس: وأزواجهم: قُرناءهم.

وقال الحسن ومجاهد: نساؤهم المشركات الموافِقات لهم على الكُفر والظلم.

وقال الضحاك: قُرنائهم من الشياطين.

" وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ": أي من الأصنام والأنداد تُحشَر معهم في أماكِنِهم، ووجه حشْر الأصنام مع كونها جمادات لا تعقل، هو: زيادة التبكيت لِعابِديها، وتخجيلهم، وإظهار أنها لا تَنْفَع ولا تضر.

"فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ"؛ أي: أرشدوهم إلى طريق جهنّم.

وفي قوله "احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا..." لهجة جازمة فيها تهكم واضح، وفي قوله تعالى: "فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ" رد من ا مكافئ على الظالمين المكذبين... لِما كان منهم من ضلال عن الهدى القويم. وإذْ لم يهتدواْ في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فلْيهتدوا اليوم إلى صراط الجحيم، وهي النّار الشديدة التأجج، والتي هي بانتظارهم لِكي يصطلُوها...[1]

وصورة أخرى يتمناها الظالم فيعض على يديه، ويتمنى لو اتبع الرسول صلى ا عليه وسلم وأطاعه في الدنيا... يقول ا عز وجلّ: "وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا"[2].

ويتحسر الظالمون يوم الخزي والعار على أنفسهم حين يدخِلُهم ا النار فيعذبهم فيها، من هنا كان من الدعاء الذي يتوجه به المسلم إلى ربه في حياته، سائلاً المولى عز وجلّ أن

---

[1] الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج3، ص176. الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق،ج4، ص390،391. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق،ج7، ص50،51. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، مرجع سابق، ج5، ص2840،2841. عبد الحكيم، منصور، **مئة وخمسون قصة من نهاية الظالمين والظالمات**، ط2005/1م، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ص9،10.

[2] سورة الفرقان، الآية 27.

ينجيه منه: "رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ"[1].

وتوبيخ آخر يوجهه الله عز وجلّ للكافرين والظالمين والمكذّبين بيوم الحشر والحِساب، فيقول: "يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا، هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ، أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ، اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" [2].

وفداء آخر يتمنى تقديمه هؤلاء المجرمون يوم القيامة يوم النّدم الأكبر، ويتحسروا على أنفُسِهم، يوم لا تنفعهم أمانيهم... ولا نجاة.

يقول الله عز وجلّ: "يَوَدُّ المُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ، كَلَّا إِنَّهَا لَظَى، نَزَّاعَةً لِلشَّوَى، تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى، وَجَمَعَ فَأَوْعَى"[3].

فلا يقبلُ من المجرم والظالِم والكافِر فداء لو جاء بأهل الأرض، وبأعز ما يجده من المال، ولو بملء الأرض ذهباً، أو من ولَدِه الذي كان في الدنيا حشاشة كَبِده، يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدِي من عذاب الله به.

قال مجاهد والسدي: فصيلته: قبيلته وعشيرته، وقال عكرمة: فَخِذه الذي هو منهم، ثم يصف الله تعالى النار بأنّها لظى لشدة حرها، تنزع جلدة الرأس.

كما قال ابن عباس في قوله تعالى "نَزَّاعَةً لِلشَّوَى"، وقال أيضاً: هي الجلود والهام.

وقال أبو صالح: تنزع النار أطراف اليدين والرجلين.

وقال الحسن البصري: تحرق النار كل شي فيه، ويبقى فؤاده يصيح، ثم تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله بلسان طلق ذلق، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر، وذلك أنّهم كانوا ممن

---

[1] سورة آل عمران، الآية 192.

[2] سورة الطّور، الآيات 13-16.

[3] سورة المعارج، الآيات 11-18.

أدبر وتولّى، أي: كذّب بقلبه وترك العمل بجوارحه.

"وَجَمَعَ فَأَوْعَى "؛ أي: جمع المال بعضه على بعض فأوعاه ومنع حقّ ا منه، ولم يخرج زكاته...، وقال الحسن البصري في قوله تعالى "وَجَمَعَ فَأَوْعَى " يا ابن آدم سمعت وعيد ا ثم أوعيت الدنيا... فليتحمل نتيجة عصيانه، في نار جهنم وعذابها الأليم... فاليوم لا يغنيه التمنّي والرجاء، ولا تنفعه علائق النسب والصهرية والمودة والقربى التي كانت في الدنيا، فالنار تدعو إليها كل من أدبر عن دين ا وطاعته، وتولى عن الإيمان با ورسوله، فتقول: إلي يا مشرك، إلي يا منافق، إلي يا كافر... وقال ابن العباس: النار تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم...[1].

ويكفي أن نتذكر هنا أن ا تعالى قد أنذر الناس في كتابه العزيز من هذا اليوم الشديد، يوم الحسرة والندامة الشديدة فغفل عنه الغافلون الذين لا يؤمنون بيوم القيامة... قال تعالى: "وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"[2].

لقد اقتضت حكمة ا تعالى أن يجعل وراء هذه الدار الدنيا داراً أخرى، يرى فيها الإنسان جزاء أعماله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر... وجاء القرآن الكريم ليؤكد للناس بأن دار الآخرة حقّ ليقصدوا بعملهم وجه ا عز وجلّ وثوابه فيها.

وقد اهتم القرآن الكريم بشأن البعث والدار الآخرة اهتماماً عظيماً، فقلّما نجد سورة من القرآن الكريم إلا وتذكر البعث، وتقرر أمره على نحو ما...

ولو أن الناس جميعا استقرت فيهم عقيدة البعث، وآمنوا بها إيماناً لا يخامره شك

---

[1] الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج3، ص549،584. الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القـرآن**، مرجع سابق، ج29، ص 46،47. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجـع سـابق، ج18، ص289. الغرنـاطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، مرجع سابق، ج4، ص276. الزمخشري، أبـو القاسـم محمـود بـن عمـر الزمخـشري الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار إحياء التراث العربـي، بيـروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج4، ص158. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مرجع سـابق، 8، ص279،280. عبـد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، مرجع سابق، ج6، ص 3431،3432.

[2] سورة مريم، الآية 39.

لاستقامت أمورهم، وكثر فيهم الخير والإحسان، وقلّ بينهم الشر والفساد.

ولكن البشر في كل عصر تغلب عليهم الحياة الدنيا، وتغريهم بزخارفها ومتاعها الزائل... وكثير منهم يعتريهم الشك في البعث ودار الجزاء، فلا يصدقون أنّهم سيبعثون بعد الموت وأنّهم سيعرضون للحساب... وقد رد القرآن الكريم على منكري البعث فقال تعالى للذين يزعمون أنّه أمر لا تدعو إليه حاجة ولا تفضي به حكمة: "...لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى"[1].

وقال أيضاً: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ"[2].

ورد تبارك وتعالى على الذين يستبعدون البعث أو ينكرونه؛ فقال: "وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ"[3]. وقال تبارك وتعالى عن يوم الحشر؛ واستقبال الناس فيه: "يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا "[4].

فهناك فرق بين الوفْدِ والورد، وبين المتّقين، وبين المجرمين.

وفْدا: ركبانًا، كالذين يفدون على الملوك لنيل عطاياهم. وردا: عِطاشاً، كالدواب المسرعة إلى الماء من شدة العطش.[5]

فيخبر ا تعالى عن استقباله لعباده الصالحين المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله... أن يحشرهم يوم القيامة وفدا إليه: أي ركبانًا، يركبون على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه، والوفادة مشعرة بالإكرام والتبجيل، حيث شُبهوا بقدومهم على ا تعالى معززين محترمين بوفود الملوك... و المثل الأعلى، فهو ملك الملوك، فتحفّ القادمين إليه سبحانه مظاهر التكريم والتقدير، أما المجرمون والظالمون والجاحدون والعصاة، فيساقون إلى النار عِطاشًا زيادة في التنكيل بهم،

---

[1] سورة النجم، الآية 31.

[2] سورة المؤمنون، الآية 115.

[3] سورة الروم، الآية 27.

[4] سورة مريم، الآيتان 85-86.

[5] الحمصي، محمد، **تفسير وبيان مفردات القرآن**، مرجع سابق، ص311.

حيث يساقون عنفاً إلى النار[1].

وقبل حشر الناس وبعد بعثهم من قبورهم إلى أرض الحشر للحساب، هناك حشر للناس الذين يكونون على الأرض، وهو علامة من علامات يوم الساعة، أشار إليه النبي صلى ا عليه وسلم في الحديث الشريف، فقال: "يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقيلُ معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا"[2].

قال الخطابي: هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف العظيم فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها.

ثم قال ابن حجر: ومال الحليمي إلى أن هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور.[3]

وتعقّبه الطيبي ورجح ما ذهب إليه الخطابي، وأجاب على الوجه الأول: بأن الدليل ثابت فقد ورد في عدة أحاديث وقوع الحشر في الدنيا إلى جهة الشام، كما جاء في حديث ابن معاوية بن حيدة أن النبي صلى ا عليه وسلم قال: "إنكم محشورون ونحا بيده نحو الشام رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم"، قال ابن حجر: أخرجه الترمذي والنسائي وسنده قوي ومنها حديث: "ستكون هجرة بعد هجرة، وتنحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ولا يبقى في الأرض إلا شرارها تلفظهم أرضوهم، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، وتبيت معهم إذا باتوا وتقيلُ معهم إذا قالوا"[4].

---

[1] ابن كثير، الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج2، ص465. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، مرجع سابق، ج4، ص2144.

[2] البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب كيف الحشر، ج8، ص135. مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر، ج8، ص157.

[3] العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر، الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محي الدين بن الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ج24، ص182.

[4] العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج24، ص183.

ويؤيد هذا ما ذكره الإمام النووي في شرح هذا الحديث. قال العلماء: وهذا الحشر في آخر الدنيا قبيل القيامة، وقبيل النفخ في الصور، بدليل قوله صلى ا عليه وسلم: "تحشر بقيتهم النار، تبيت معهم وتقيل معهم وتصبح وتمسي، وهذا آخر أشراط الساعة كما ذكر مسلم بعد هذا في آيات الساعة"[1].

هذا ويحتمل أن تكون نار الفتنة، وهي واقعة في الأرض عبر الحروب التي تحرق الأخضر واليابس، فليس ببعيد عنّا ما يجري اليوم على أرض العراق وعلى كثير من بقاع الأرض من حروب، تستعمل فيها أسلحة فتاكة، يموت على أثرها الآلاف بل مئات الآلاف من الخَلق، ناهيك عن الفارين من نار الحرب، إلى مشارق الأرض ومغاربها... وربما تستيقظ هناك فتنة عارمة كما أخبر صلى ا عليه وسلم حتى يهرب الناس جهة الشام...

ويجب أن يعلم الناس اليوم أن الرسول صلى ا عليه وسلم يخبر عن الغيب بلسان الحق، "إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى "[2]. فلا يقول أحد كيف يخبر الرسول صلى ا عليه وسلم أن الناس سيركبون الإبل مع وجود السيارات والطائرات والسفن...؟

لأن الواقع العلمي يؤكّد أن البترول سيفرغ، أو سيحترق، فتقف السيارات والطائرات والسفن والبارجات في البحر أو البوارج الحربية الضخمة، ولا تجد ما تسير به من وقود، أو ربما تُدمر الصواريخ التي تحرق كلّ شي، ولا يبعد أن يحدث انفجار ذري أو نووي أو يستعمل السلاح النووي من قِبل الدول التي تمتلكه مثل أمريكا أو روسيا أو كوريا أو إيران وغيرها، فيدمر هذه الأشياء، وآبار النفط ويقضي عليها... ولا يجد الناس في آخر الزمان إلا الإبل يركبونها إلى الشام.

وقد أشار النبي صلى ا عليه وسلم في حديث آخر إلى النار في آخر الزمان التي تخرج من اليمن... واليمن أرض فيها النفط بشكل كبير وكميات هائلة وما يحيط بها من دول

---

[1] النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف، **شرح صحيح مسلم**، مرجع سابق، ج17، ص194،195.

[2] سورة النجم، الآية4.

الخليج المليئة بآبار البترول والغنية بهذه المادة المهمة عالمياً... وهذه النار قادمة من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

فيروي الصحابي الجليل حذيفة بن أسيد الغفاري فيقول: اطلع النبي صلى ا عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: "ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: إنها لن تقوم حتى ترون عشر آيات، فذكر: الدخَان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى ا عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"[1].

فإذا مات الناس جميعا وقُبضوا، ولم يبقَ على الأرض بشر، تأتي المرحلة الثانية من البعث والحشر، حيث يبعث الناس من قبورهم، فإذا هم قيام ينظرون...

قال تعالى: "...ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ"[2].

وفي حديث الصور: أن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر من ا تعالى، فينفخ فيه أولاً نفخة الفزع، وذلك في آخر عمر الدنيا حيث تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفزع من في السموات والأرض: أي: خافوا وانزعجوا لشدة ما سمعوا، وقيل: المراد في الفزع هنا: الإسراع والإجابة إلى النداء والأول أولى بمعنى الآية، والصور ينفخ فيه ثلاث نفخات، وهي نفخة الفزع ونفخة الصعق؛ أي الموت، ثم نفخة البعث والقيام لرب العالمين، وقيل هما نفختان اثنتان وهما: نفخة الصعق، وثم نفخة البعث؛ ليجتمع الخلق في أرض الجزاء وهو يوم النشور ويندرج في هذه. نفخة الفزع أي: يحيون فزعين مذعورين، لهول ما يجدونه أمامهم من شدائد.

"إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ"؛ أي: إلا من شاء ا أن لا يفزع عند تلك النفخة. واختُلف في تعيين من وقع الاستثناء عليه، فقيل: هم الشهداء والأنبياء، وقيل: هم الحور العين، وقيل: هم المؤمنون

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ج8، ص179.

[2] سورة الزمر، الآية 68.

كافة بدليل قوله تعالى: "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ" [1].[2] ويمكن أن يكون الاستثناء لجميع من ذكر فلا مانع من ذلك.

"وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ"؛ أي: صاغرين مطيعين، فلا يتخلّف أحد عن أمره كما قال تعالى: "يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ"[3].

وهذا وصف لحال العباد وهم يقومون مذعورين وجلين أذلّة، إذ يساقون إلى المحشر، وحينئذٍ تغشى البشرية من غواشي الخوف والفزع ما لا تتصوره العقول إلا بالمعاينة والنظر.[4]

ويصف النبي صلى ا عليه وسلم حال الناس يوم القيامة والعرق يتصبب من أجسادهم ويغمرهم، فيقول: "إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعاً، وإنّه ليبلغ إلى أفواه الناس، أو قال إلى آذانهم"[5]. ويصفّ صلى ا عليه وسلم حال الأرض والسماء يوم القيامة فيقول: "يقبض ا تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض"[6].

فإذا اشتد الأمر بالناس، وعظم الكرب في هذا الموقف العظيم، استشفعوا إلى ا عز وجل بالرسل والأنبياء، أن ينقذهم سبحانه مما هم فيه، يعجل لهم فصل القضاء، وكل رسول يعتذر لهم. ويحيلهم لمن جاء بعده، حتى يأتوا نبينا محمد صلى ا عليه وسلم فيشفع فيهم، ولهم،

---

[1] سورة النمل، الآية 89.

[2] الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج4، ص155. الصابوني، ابن كثير، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج2، ص684. عبد العزيز، **التفسير الشامل**، مرجع سابق، ج5، ص2525. الصافي، **يوم الحشر**، مرجع سابق، ص43.

[3] سورة الإسراء، الآية 52.

[4] الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج4، ص155. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج2، ص684. الرازي، **تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج220/24. عبد العزيز، **التفسير الشامل**، مرجع سابق، ج5، ص2525،2526.

[5] مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب صفة يوم القيامة، ج8، ص158.

[6] مسلم، **الصحيح**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ج8، ص126.

ويقبل الباري شفاعته، فينصرف الناس إلى فصل القضاء.[1]

وفي هذا يروي أنس بن مالك أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: "يجمع ا الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال: فيأتون آدم..." والحديث طويل، فيعتذر لهم ويحيلهم إلى نوح عليه السلام، كونه أول رسول بعثه ا ، فيعتذر لهم ويحيلهم إلى إبراهيم عليه السلام والذي اتخذه ا خليلا، فيعتذر لهم ويحيلهم إلى موسى عليه السلام الذي كلّمه ا ... فيعتذر لهم ويذكر خطيئته ويحيلهم إلى عيسى عليه السلام روح ا وكلمته، فيعتذر لهم ويحيلهم إلى النبي محمد صلى ا عليه وسلم فيقول: "لست هناكم، ولكن آتوا محمداً صلى ا عليه وسلم عبداً قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء ا ، فيقال يا محمد أرفع رأسك قل تُسمع سلْ تُعطَه اشفَع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميدٍ يعلّمنيهِ ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدا، فيدعني ما شاء ا ، فيقال يا محمد أرفع رأسك قل تُسمع سلْ تُعطَه اشفَع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميدٍ يعلّمنيهِ ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة، قال: فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي: من وجب عليه الخلود"[2].

قال القاضي عياض: والحكمة في أن ا تعالى ألهم الناس سؤال الأنبياء أولاً، ولم يلهموا سؤال نبينا صلى ا عليه وسلم، هي: وا أعلم إظهار فضيلة نبينا محمد صلى ا عليه وسلم. فإنّهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله، وأما إذا سألوا غيره من رسل ا تعالى وأصفيائه فامتنعوا، ثم سألوه فأجاب، وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال القرب وعظم الإدلال والأنس، وفيه تفضيله على جميع المخلوقين من الرسل

---

[1] ياسين، محمد نعيم، **الإيمان**، مرجع سابق، ص110. فائز، أحمد، **اليوم الآخر في ظلال القرآن**، ص173،175. الصافي، د. يحيى الدين، **يوم الحشر**، مرجع سابق، ص17،37.

[2] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ج1، ص123،124.

والآدميين والملائكة، فإّن هذا الأمر العظيم وهي الشفاعة العظمى، لا يقدر على الإقدام عليه غيره صلى ا عليه وسلم وعليهم أجمعين...[1].

ومعلوم أن الحشر: هو سوق الناس جميعاً إلى الموقف وهو المكان الذي يقف فيه الناس انتظاراً ليفصل القضاء بينهم، فبعد بعث الناس يأمر ا تعالى ملائكته فتسوقهم إلى الموقف وحالهم كما خلقوا أول مرة حفاةً غير منتعلين عراةً غير مكتسين غُرلاً غير مختَتنين.[2]

فعن ابن عباس رضي ا عنه قال: سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم يخطب على المنبر ويقول: "إنّكم ملاقوا ا حفاةً عراةً غُرلا"[3].

إن يوم الحشر يوم عسير على العصاة والظالمين والكافرين غير يسير، مشهد عنيف مرعب مخيف، صوره ا تعالى بوصف شديد فقال: "يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا"[4]. وقال تعالى: "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ"[5].

الأرض ترتجف وتخاف وتتفتّت وتنهار، فكيف بالناس المهازيل الضعفاء، إنّها تهز القلوب هزاً، وتخلعها خلعاً... قال تعالى: "فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا، السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا"[6].

إن صورة الهول هنا لتنشقّ لها السماء وترجف منها الأرض والجبال... وإنّها لتشيب منها الولدان.... فهل من عودة إلى ا وتوبة نصوح؟! وهل من ندم على ما فات قبل فوات

---

[1] النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف، **شرح صحيح مسلم**، مرجع سابق، ج3، ص57،58.

[2] ياسـ ـين، محمد نعيم، **الإيمان: أركـانه، حقيقته، نواقضه**، مرجع سابق، ص108.

[3] البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب كيف الحشر، ج8، 136. مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلهـا، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ج8، ص156.

[4] سورة المزمل، الآية 14.

[5] سورة النازعات، الآيات 6،9.

[6] سورة المزمل، الآيتان 17-18.

الأوان؟! "إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا"[1].[2]

المطلب الثاني: التصفيد بالسلاسل والأغلال:

قال تعالى:"وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ، سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ"[3].

يصف الله تبارك وتعالى صورة الكافرين والمجرمين والمشركين والظالمين يوم القيامة، كيف تكون أيديهم مقرونة إلى أرجلهم بالأصفاد؛ أي بالأغلال والقيود، قال ابن عباس وغيره: وقيل في معنى مقَرنين أي: مشدودين بعضهم إلى بعض، وقد جمع بين النظراء، أو الأشكال منهم كلّ صنف إلى صنف، اثنين اثنين مشدودين في الوثاق، يمرون صفّاً وراء صف، والصفاد: ما يوثق به الأسير من قيد وغلّ. مشهد مذِلّ دالّ على قُدرة القهار، فإنّهم يضم بعضهم إلى بعض مقَرنين في القيود والأغلال والسلاسل.

"سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ" والسرابيل، جمع سربال؛ وهو القميص، وقيل الثياب التي يلبسونها من قطِران، وهو نبات منْتن الريح، يطلى به جلود أهل النار، وفي هذا مزيد من الذّلّ والتحقير، وقيل: القطران: النحاس المذاب بالغ الحرارة...

"وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ" كقوله تعالى: "تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ"[4]. مشهد العذاب المذِلّ المتلظّي المشتعل جزاء للمكر والاستكبار، فتحرقُ النار المستَعِرةُ وجوههم بضرامها الملتهب، وخَص الوجوه لأنّها أشرف ما في البدن، وفيها الحواس المدركة.[5]

---

[1] سورة المزمل، الآية 19.

[2] فايز، أحمد، **اليوم الآخر في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ص164،165.

[3] سورة إبراهيم، الآيتان 49-50.

[4] سورة المؤمنون، الآية 104.

[5] الشوكاني، **فتح التقدير**، مرجع سابق، ج3، ص 118. الرازي، **تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج19، ص 149. الطبري، **جامع البيان عن تأويل أي القرآن**، مرجع سابق، ج13، ص 164- 167. النسفي، **تفسير النسفي**، مرجع سابق، ج2، ص266. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج 2، ص 305. فائز، أحمد، **اليوم الآخر في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ص 297- 298. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج5، ص 178. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، مرجع سابق، ج4، ص 1861- 1862.

ومشـهد آخـر للمجرمـين والظالمـين والكافرين يوم القيامة يصفُهم ا فيه، فيقول: "إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ، فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ"[1]. يسجرون؛ أي: توقّد النّار بِهم، أو تُملأ بهم[2].

ويقول:"يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ، وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ"[3]. ويقول سبحانه:"إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ، وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ"[4].

فيصور ا تبارك وتعالى أهل النار بمشهد حِسي، كأنّهم مغلولون ممنوعون قَسراً عن النظر، محالٌ بينهـم وبيـن الهدى والإيمان بالحـواجز والسـدود، مغطّـى على أبصارهم فلا يبصِرون...

إن أيديهم مشدودة بالأغلال إلى أعناقِهم، موضوعةٌ تحت أذقانهم، ومن ثم فإن رؤوسهم مرفوعة قسراً، لا يملِكون أن ينظُروا بها إلى الأمام! ومن ثم فهم لا يملكون حرية النّظر والرؤيةِ وهم في هذا المشهد العنيف! وهم إلى هذا محال بينهم وبين الحقّ والهدى بِسد من أمامِهم وسد مِن خلْفِهم، فلو أُرخِي الشد لم تنفذ أبصارهم كذلك من هذه السدود! وقد سدت عليهم سبيل الرؤية وأغشيت أبصارهم بالكلال!

ومع عنف هذا المشهد الحسي وشدته فإن الإنسان ليلتقي بأناس من هذا النوع يخيل إليه وهم لا يرون الحقّ الواضح ولا يدركون أن هنالك حائلاً عنيفاً كهذا بينهم وبينه. وأنّه إذا لم تكن هذه الأغلالُ في الأيدي، وإذا لم تكن الرؤوس مقحمة ومجبرة على الارتفاع فإن نفوسهم

---

[1] سورة غافر، الآيتان 71-72.

[2] الحمصي، محمد، تفسير وبيان مفردات القرآن، مرجع سابق، ص475.

[3] سورة القمر، الآيات 48 ـ 50

[4] سورة يس، الآيتان 8-9.

وبصائرهم كذلك... مشدودة عن الهدى قسراً، وملفوتة عن الحق لفْتاً. وبينها وبين دلائل الهدى سد من هنا وسد من هناك[1].

وفي قوله تعالى "إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا" جملةٌ فيها تَقرير لِما قبلها مثِّلت حال الكافرين والعصاة والغافلين بِحال الذين غُلّت أعناقهم بالأغلال وانتهت إلى الأذقان، فلا يقدِرون عند ذلك على الالتفات ولا يتمكّنون من عطف أعناقهم، فهم رافِعوا رؤوسهم غاضوا أبصارهم.

وقال أبو عبيدة: هو مثَلٌ ضربه ا لهم في امتناعِهم عن الهدى كامتناع المغلول. وقيل: الآية إشارة إلى ما يفْعل بِقوم في النّار من موضع الأغلال في أعناقهم، كما قال تعالى: "إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ"[2]. والتقدير: إنا جعلنا في أعناقهم وفي أيديهم أغلالاً فهي إلى الأذقان؛ لأن الغِل إذا كان في العنُق فلا بد أن يكون في اليد، ولاسيما وقد قال ا : "فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ" فقد عِلِم أنّه يراد بِه الأيدي فهم مقمحون: أي: رافعوا رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق؛ لأن من غُلّت يداه إلى ذقْنه ارتفع رأسه، وغُض بصره.

قال ابن عباس: هو كقوله تعالى: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ"[3]؛ والمعنى: أن هؤلاء الضالّين المشركين الذين ختَم ا على قلوبهم مبعدون مِن الإيمان والرحمةِ، مغلولون عن كُلّ خير... "وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا" والسد: معناه: الحاجز. فقد جعل ا مِن أمام هؤلاء الضالين حاجِزاً ومِن خَلْفِهم حاجِزاً، والمراد به: الضلالات، فهم مترددون في الضلالات، زائغون بها عن الحقّ... فكأن ا تعالى يقول: إنّا منعناهم عن الإيمان بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج من الكُفر إلى الإيمان، كالمضروب أمامه وخَلْفَه بالأسداد.

---

[1] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج7، ص12، فائز، أحمد، **اليوم الآخر في ظلال القرآن**، مرجـع سـابق، ص267، 268.

[2] سورة غافر، الآية 71.

[3] سورة الإسراء، الآية 29.

وقال عبد الرحمن بن زيد: جعلَ ا ُ تعالى هذا السد بينَهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلُصون إليه، وقرأ: "إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ، وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ"[1]. ثم قال: من منَعه ا ُ تعالى لا يستطيع[2].

"فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ" أي: غَطّينا على أَبصارهم، مجاز يراد به إضلالهم. فَهم لا يبصِرون سبيل الهدى، فلا ينتفِعون بِخَيرٍ ولا يهتدون إليه[3].

وقال تعالى عن آلةِ تعذيب الكافرين والظالمين وأمثالهم في نار جهنم: "وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ"[4]؛ ومعنى مقامِع؛ أي: مطارقُ أو سياطٌ يمنَعون بها من الخروج من جهنم[5]. فهي إذن سياطٌ من حديد يضرب بها أهلُ النار، كُلّما أرادوا أن يخرجوا من النار؛ ولذاك قال تعالى بعدها: "كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ"[6].

وهناك ُأناس يتعودون على العذابِ، فَيفْقِد جسدهم الحِس، فلم يعد يشعر بالألم... هذا في الدنيا... لكن في الآخرة... في نار جهنم، فإن هذا الأمر لن ينالُوه، لقولِهِ تعالى: "كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ"[7]. إذن... فلن تتعود أجسادهم على العذاب. لقوله تعالى: "إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ، فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ"[8].

---

[1] سورة يونس، الآيتان 96-97.

[2] الشوكاني، **فتح التقدير**، مرجع سابق، ج 4، ص361. الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، مرجع سابق، ج 3، ص350. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج3، ص 155. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج7، ص11، 12. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، ج5، ص2807، 2808.

[3] الغرناطي، لتسهيل، مرجع سابق، ج3، ص352. الشوكاني، **فتح التقدير**، مرجع سابق، ج4، ص361. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج3، ص155، 156. عبد العزيز، **التفسير الشامل**، ج5، ص2808.

[4] سورة الحج، الآية 21.

[5] الحمصي، **تفسير وبيان مفردات القرآن**، مرجع سابق، ص334.

[6] سورة الحج، الآية 22.

[7] سورة النساء، الآية 56.

[8] سورة غافر، الآيتان 71-72.

فزبانية جهنّم يسحبون الظالمين والكافرين والمشركين وأتباعهم وأمثالهم على وجوههم فيجرونهم تارة إلى الحميم وهو الماء الشّديد الحرارة، وتارة إلى الجحيم، فهم يدخلون في النار كما يدخَلُ الحطب إلى التّنّور، كما قال تعالى: "يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ"[1]. وقال تعالى: "خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ"[2].

أي يقالَ لهم ذلك على وجهِ التقريع والتّوبيخ، والتهكم والاستهزاء بهم، فهو تهديد ووعيد للمكذبين الذين يصِرون على ظلمِهم وكُفرهم وعِنادهم، ويخاصمون في آيات ا بالباطل، سوف يعلمون عاقبة كفرهم وجحودهم، حين تُجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم مسحوبين على الماء الذي بلغ حره غايته ونهايته، ثم يحرقون في النّار، ويكونون لها وقودا... يربطُون ويحبسون في النّار، حيث يملأ لهم المكان ماء حاراً، وناراً موقّدة... والى هذا ينتهون...[3].

فهل أدرك الظالمون اليوم والكافرون والمبغضون للإسلام وأهله، والذين يعذّبون المؤمنين والمؤمنات ويلاحقونهم، ويطاردونهم، ويسجنونهم، ويقيدونهم بالسلاسل والأغلال الدنيوية، ويشْبحونهم لأيام، ويعذبونهم بأساليب شَتّى يبتكرونها، وبالكهرباء، وبالتجويع ومنع الماء عنهم... وبالإعدام... هل أدرك هؤلاء الظّالمون أن يومهم قد اقترب؟ وأن ساعتَهم ونهايتهم قريبة منهم؟ مهما عمروا وظلموا وطَغَوا في الأرض وبغَوا واعتدوا فهم إلى نهاية كما انتهى الذين ظلموا من قبلهم، "فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا"[4]. "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"[5].

---

[1] سورة الرحمن، الآية 44.

[2] سورة الدخان، الآيات 47-49.

[3] الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج4، ص501، 502. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج 3، ص251، 252. الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، مرجع سابق، ج 4، ص15، 16. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج 7، ص205. الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص 287. الشعراوي، الشيخ محمد المتولي، **الدار الآخرة**، مكتبة التراث الإسلامي، ط 2، 1422هـ/ 2001م، ج2، ص392.

[4] سورة النمل، الآية 52.

[5] سورة الشعراء، الآية 227.

وما أكثر الظالمين في هذا الزمان وهذا العصر، عصر طغيان الظلم، من حكام وأتباع للسلاطين ومنافقين وأعوان وزبانية ومعذبين لأهل الإيمان المدافعين عن الحق والدين... وما أكثر السجون والسجانين الذين نَسوا ا فأنساهم أنفُسهم، ونَسوا اليوم الآخر وما ينتظرهم فيه من عذاب مهين.

وفي ظل الأنظمة الدكتاتورية، والتي تدعي الديمقراطية، وتُفسرها بما يحقّق مصلحتها، أعلنت كثير من دول الأرض اليوم حربها ضد الشباب المسلم العامل للإسلام والدين، ففتحت سجونها ومعتقلاتها، فصفّدت فيها الشباب وقيّدتهم، وعذّبتهم، ونَصبت لهم المشانق، كلّ ذلك باسم الأمن ومن أجل الأمن، وهنا نتساءل: أهذا هو الأمن حقاً؟ أم هو التفزيع والظّلم والإرهاب؟ وهل يمكن أن يحققَ الظّلْم أمناً؟

وليس ببعيد عنّا، ما تضعه أنظمةُ اليوم الظالمة في العالم من مبالغَ ماليةٍ خيالية مِن ميزانياتها لمحاربة ما تسميه بالإرهاب؛ وتعني به الإسلام وأهله؛ لأنه يرهِبها ويقلقُ منامها وأنظمتها الظالمة... وا تعالى يقول: "لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ"[1]. ويقول تبارك وتعالى:"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ "[2].

وهنا نقول: يا من تقيدون الشباب المسلم اليوم والدعاةَ بالقيود والسلاسل، وتُلْقُون بِهم في زنازين ضيقة خانِقة، وتمنعون عنهم الطعام والماء... اعلموا أن في الآخرة سلاسل وأصفاداً وأماكن ضيقة يلقى فيها المجرمون والظالمون، وطعامهم من غِسلين ومن شجرة من الزقوم، وأنّهم يشربون ولكن: " بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا" [3]. أو"مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ، يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ" [4].

[1] سورة الحشر، الآية 13.

[2] سورة الأنفال، الآية 36.

[3] سورة الكهف، الآية 29.

[4] سورة إبراهيم، الآية 16.

هذا وقد حكى ا تعالى لنا عن النار التي تنتظر الظالمين، فقال: "إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا، وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا، لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا "[1]. والثبور: يعني الهلاك والخُسران، ويقولون: واثبوراه! واهلاكاه! أي يتمنّون الهلاك[2].

فهذه دعوة من ا تعالى إلى الناس كافّة، كانت وصية جامعة لعباده ليحسبوا حِسابها يوم ينادي بعباده "لا ظُلم اليوم" حيث يقول تبارك وتعالى: "وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"[3].

المطلب الثالث: الاستغاثة بأهْل الجنّة، والاصطراخ لتخفيف العذاب:

قال تعالى: "وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ"[4].

يخبر ا تعالى عن ذِلّة أهل النار وسؤالهم أهل الجنّة من شرابهم وطعامهم وأنّهم لا يجابون إلى ذلك، قال ابن أسلم: يستطعِمونَهم ويستَسقُونَهم.

وقال سعيد بن جبير: ينادي الرجلُ أباه أو أخاه فيقول له: قد احترقْتُ، فأفِض علي مِن الماء، فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون: "إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ".

قال الغرناطي: وفي قوله "أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ" دليل على أن الجنّة فوق النار.

وقال الشوكاني: طلَب أهلُ النار من أهل الجنّة أن يواسوهم بشيءٍ من الماء أو بشيءٍ مما رزقهم ا من غيره من الأشربة والأطعمة، فأجابوا بقولهم: "إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ"؛

---

[1] سورة الفرقان، الآيات 12-14.

[2] الحمصي، محمد، **تفسير وبيان مفردات القرآن**، مرجع سابق، ص 361. الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص82.

[3] سورة البقرة، الآية 281.

[4] سورة الأعراف، الآية 50.

أي الماء وما رزقهم الله من غيره، فلا نواسيكم بشيءٍ مما حرمه الله عليكم. وقيل: إن هذا النداء من أهل النّار كان بعد دخول أهل الأعراف الجنة[1].

وهذا الموقف بالطبع يكون بعد أن يستقر المؤمنون في الجنة، والكافرون والظالمون في النار، وحال التعس والويل والبلاء الذي يجده أهل النار من النكال والاغتمام والاستحسار... ومن جملة ما يجدونه العطش الشديد، والجوع الأليم اللاسع، الذي يدفع الظالمين المجرمين إلى الاستغاثة بأهل الجنّة ليصبوا عليهم شيئاً من الماء يطفئ ظمأهم أو شيئاً من طعام الجنة وثمرها.

لكن هؤلاء الظالمين المجرمين، لم يستَبقُوا لَهم في قُلوب المؤمنين رأفة بهم ولا يستحِقّون من الله شيئاً من رحمته وإحسانه، لا يستحقون في هذه الحال البئيسةِ الرهيبة غير الصدود والامتناع مِن عَونهم. وهو قوله تعالى: "إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِينَ"... فقد حرموا من ذلك ومن كُل وجوه الرزق والنّعمة يوم القيامة فلا يستحقون من الجزاء حينئذٍ إلا النّار بما أسلفُوه من الكُفران والعصيان والصد عن سبيل الله وتحريض الظالمين والمشركين والمتربصين على المسلمين، فضلاً من استِسخَارهم بدين الله والاستهزاء به... وهذا ما أكّدته الآيات التي جاءت بعد هذه الآية الكريمة[2].

إذن رد أهل الجنّة على أهل النار بالرفض، وعدم سقيهم أو إطعامهم؛ لأن أهل الجنّة مقيدون الآن بـ ـكُن ولم يعد لهم خِيار، بعد أن حرم الله على أهل النار أي شيء من الجنّة ومنعـه عنْهم. فإنّه تحريم مـنْع كـما قال تعالى: "وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ"[3]؛ أي: منَعنا ذلك عنه.

---

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج2، ص210. الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، مرجع سـابق، ج2، ص 62. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج2، ص22. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مرجع سـابق، ج7، ص521.

[2] عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، مرجع سابق، ج3، ص 1262- 1263. الفيروز أبـادي، محمـد بـن يعقـوب، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، ج2، ص 353.

[3] سورة القصص، الآية 12.

وحين يطلُب أهلُ النّار الماء، فهم يطلبون أولَويات الوجود في نارٍ أحاطَ بِهم سرادقها "وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا"[1]؛ ومعنى ساءت مرتفَقا: أي: ساءت النار متكأً أو مقَراً[2].

وذلك لأنّهم "اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا"[3]. وجحدوا بآيات ا ِ تعالى وكذبوا برسوله صلى ا   عليه وسلم[4]. وظلموا الناس في الدنيا واعتدوا على حقوقهم ولم تأخذهم بهم رأفة ولا شفقة فاستحقوا العذاب والعقاب والحرمان.

أما عن موقفِ أهل الجنة بعد دخولها من أصحاب النار بعد أن دخلوها وذاقوا بأسها وعذابها، فيتضح من نداءِ أهل الجنةِ أهلَ النّار، والذي يسجله القرآن بقوله تعالى: "وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"[5]. وصيغة الماضي ونادى لتحقّق الوقوع؛ وهو أن هذا الكلام واقع لا محالة يوم القيامة فمناداة أصحاب الجنّة لأصحاب النار لم تكُن بقصد الإخبار لهم بما نادوهم به، بل لقصد تبكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم، بعد أن استقروا في منازلهم.

"أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا" هو نفس النداء: أي إنّا قد وصلْنا إلى ما وعدنا ا ُ بِهِ مِن النعيم، فهل وصلْتُم إلى ما وعدكُم ا ُ به مِن العذاب الأليم، والاستفهام هو للتقريع والتوبيخ.

"قَالُوا نَعَمْ" أي وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، إقرار ذليل من الظالمين.

"فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ" والمؤذن هو المنادي، فنادى منادٍ بينَهم؛ أي بين الفريقين، قيل: هو من الملائكة.

"أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" أي اللعنة مستقِرة عليهم، وكذلك غضبه وسخَطه...

---

[1] سورة الكهف، الآية 29.

[2] الحمصي، **تفسير وبيان مفردات القرآن**، مرجع سابق، ص297. الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص251.

[3] سورة الأعراف، الآية 51.

[4] الشعراوي، محمد متولّي، **الدار الآخرة**، ج2، ص395.

[5] سورة الأعراف، الآية 44.

فالمؤمنون على ثقة من تحقق وعيد الله كثقتهم من تحقق وعده، ولكنهم يسألون! ويجيء الجواب في كلمة واحدة: نعم...! ثم يجئ الجواب بطرد الظالمين من رحمة الله، وتطويقهم بعذاب النار... مما يزيد حسرتهم وغمهم وهمهم وذعرهم وهوانهم...[1] فاعتذار الظالمين يوم القيامة واستغاثتهم واصطراخهم لا ينفعهم البتّة، بعد أن أنذروا في الدنيا فلم يسمعوا ولم يطيعوا، بل أصروا على كفرهم وظلمهم وطغيانهم...

قال الله تعالى: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ"[2]. وقال تعالى: "تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ"[3]. وقال تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ، وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ"[4].

"كَفُورٍ"؛ أي شديد الكفر.

"يَصْطَرِخُونَ"؛ يصرخون مستغيثين ويصيحون بِشِدةٍ.

"أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ"؛ احتج عليهم المولى عز وجلّ بطول العمر.

"مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ"؛ مدة كافية ليتذكّر ويعتبر من كان مستعداً للتذكّر.

"وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ"؛ الرسول الذي ينذركم ويحذركم من عقاب الله.

"مِنْ نَصِيرٍ": معين.[5]

---

[1] الغرناطي، **التسهيل**، مرجع سابق، ج2/60، 61. الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج2، ص207. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج2، ص21. قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج7، ص519. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، مرجع سابق، ج3، ص1256.

[2] سورة غافر، الآية 52.

[3] سورة الشورى، الآية 22.

[4] سورة فاطر، الآيتان 36-37.

[5] الحمصي، محمد، **تفسير مفردات القرآن**، مرجع سابق، ص438.

لما فرغ تبارك وتعالى من ذكر جزاء عباده الصالحين، ذكر جزاء عباده الطالحين الأشقياء، فقال: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ..."؛ أي: لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب "وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا" بل – كلما نضجت جلودهم بدلّناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب – وهذه الآية هي مثل قوله سبحانه: "ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا"[1]. "كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ"؛ أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل من هو مبالغ في الكفر، ومكذب بالحق ومثل هذه الآية الكريمة: "إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ"[2]. "وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا": ينادون فيها يجأرون إلى ا عز وجلّ بالصراخ العالي، يستغيثون، ويطلبون الرحمة والتخفيف من فظاعة الويل والتحريق... "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ": فهم ينادون ربهم سائلينَه إخراجهم من النار وإرجاعهم إلى الدنيا ليعملوا غير ما عملوه من الشرك والمعاصي في السابق، بل يفيئون إلى الإيمان وعمل الصالحات، لكن هذه الاستغاثة وذلكم الصياح لا يغنيهم من العذاب شيئًا، فإنّهم في النار لابثون ماكثون، وقد علم ا أنّه لو ردهم إلى الدار الدنيا "لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ"[3] فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم، بل أجاب ا عليهم بقوله: "أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ"؟ والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ وإقامة الحجة عليهم، فقد جعل ا لهم من العمر في الدنيا ما يكفي للإيمان والتذكر والإنابة، وعمل الصالحات، لكنهم قد فرطوا فيما جعل ا لهم من العمر، فا تعالى يقول لهم: أَو لم نَجعل لكم أعماراً في الدنيا لو انتفعتم فيها بعبادةِ ا لنجوتم.

وقد اختلف في مقدار العمر المراد هنا، فقد روي عن ابن عباس أنه أربعون سنة وفي رواية عنه أخرى وهي أصح على أن المراد ستون سنة، فقد جاء في الحديث: "من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر ا إليه في العمر، وفي رواية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "أعذر ا إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة"[4].

---

[1] سورة الأعلى، الآية 13.

[2] سورة الزخرف، الآيتان 74-75.

[3] سورة الأنعام، الآية 28.

[4] **البخاري**، كتاب الرقائق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر ا إليه في العمر، حديث رقـم 6419 ص 1307، صـحيح البخاري،تحقيق طه سعد، مكتبة الإيمان، مصر، 1423هـ/2003م، ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج11، ص240.

قال ابن بطال: إنما كانت الستون حداً لهذا لأنّها قريبة من المعتدل، وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية، فهذا إعذار بعد إعذار لطفًا من ا بعباده حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، وثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل، لكنهم أمِروا بمجاهدة النفس في ذلك ليتمثلوا ما أُمروا به من الطاعة ويرتجعوا عما نُهوا عنه من المعصية، وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنّة لانقضاء الأجل[1].

وقوله تعالى "وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ" روى ابن عباس وعكرمة وقتادة أنهم قالوا: يعني الشيب، وقال السدي وعبد الرحمن بن زيد: يعني به رسول ا محمد صلى ا عليه وسلم وهذا هو الصحيح عن قتادة أنّه قال: "احتج عليهم بالعمر والرسل، قال تعالى: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا"[2]. وقال تعالى: "كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ. قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ"[3].

"فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ"؛ أي فذوقوا عذاب جهنّم؛ لأنكم لم تعتبروا ولم تتعظوا، جزاء مخالفتكم للأنبياء في مدة أعمالكم، فما لكم ناصر يمنعكم من عذاب ا ويحول بينكم وبينه، ولا معين لكم ولا مجير من النار يخفّف عنكم ما أنتم فيه من سوء العذاب.[4]

---

[1] الغرناطي، **التسهيل**، مرجع سابق، ج3/، ص346،347. الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج4، ص354. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج3، ص150،151. تفسير القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج14، ص352. الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج22، ص92،93. الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل**، مرجع سابق، ج3، ص310.

[2] سورة الإسراء، الآية 15.

[3] سورة الملك، الآيتان 8-9.

[4] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل**، مرجع سابق، ج3، ص310. تفسير القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج14، ص352. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج3، ص151. الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج4، ص355. الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج22، ص93.

فلا خروج من النار للظالمين المصرين على ظلمهم، والكافرين المصرين على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم لأنبياء ا ... فهذا هو مصيرهم "كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ"[1].

وقال تعالى بعد أن حثّ العاملين على العمل لينالوا ويفوزوا في اليوم الآخر بجنّات النّعيم: "أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الجَحِيمِ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونَ، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ، ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الجَحِيمِ"[2]. والشوب: الخلط والمِزاج. من حميم: أي من ماءٍ بالغ غاية الحرارة[3].

وعن ابن عباس – رضي ا عنه – أن رسول ا صلى ا عليه وسلم تلا هذه الآية "اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"[4]. ثم قال: "لو أن قطرةً من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه"[5] وقد أخبر صلى ا عليه وسلم عن أهون أهل النار عذاباً فقال: "إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه"[6].

وقال صلى ا عليه وسلم في حديث آخر، مشيراً إلى اسم أهون أهل النار عذاباً: "أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه"[7] وعرفنا صلى ا عليه وسلم بأهل الجنّة وأهل النّار ووصف كل منهم، فقال: "ألا أخبركم بأهل الجنّة؟ قالوا: بلى، قال: كل

---

[1] سورة الحج، الآية 22.

[2] سورة الصافات، الآيات 62-68.

[3] الحمصي، محمد، **تفسير مفردات القرآن**، مرجع سابق، ص448. الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص350،157.

[4] سورة آل عمران، الآية 102.

[5] الترمذي، **السنن**، باب طعام أهل النار، حديث رقم 2585، وقال: حديث حسن صحيح.

[6] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، ج1، ص135.

[7] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، ج1، ص135.

ضعيف متضعف لو أقسم على ا لأبره، ثم قال: ألا أخبركم بأهل النّار؟ قالوا: بلى، قال: كل عتل جواظٍ مستكبرٍ"[1].

العتل: الغليظ الجافي، الأكول المنوع.[2]

والجواظ: الجافي الغليظ، المختال في مشيته، الكثير اللحم.[3]

ومن ظلال هذه المشاهدة في الكتاب والسنّة تنطلق صيحة من صيحات الإنذار للناس، وهزة للنائمين السادرين في الضلال "ذَلِكَ اليَوْمُ الحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا، إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا"[4]. فمن هول العذاب يوم القيامة يؤثر الكافر العدم على الوجود... ويرى هذا أهون من مواجهة الموقف المرعب الشديد...[5]

وا تبارك وتعالى قد دعا عباده ليقُوا أنفسهم من عذاب الحريق، وهذا لا يكون إلا بتقوى ا عز وجلّ والعودة إليه، وإن كثرت الذنوب، فباب التوبة مفتوح لمن تاب وأناب وندم على ما فات، فا غفور رحيم، وهو سبحانه رؤوف بعباده.

قال تعالى: "إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ"[6]. وقال تعالى: "فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ"[7].

وقال صلى ا عليه وسلم: "يجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك"[8].

---

1 مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفه نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ج8، ص154.

2 الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص411. الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مرجع سابق، ص325.

3 ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج7، ص439. الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، ج1، ص897.

4 سورة النبأ، الآيتان 39-40.

5 فائز، أحمد، **اليوم الآخر في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ص283،284.

6 سورة النساء، الآية 116.

7 سورة البقرة، الآية 24.

8 البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب من نوقش الحساب عذب، ج8، ص139.

إذن باب التوبة في الدنيا مفتوح، وكذلك باب العمل، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، قال صلى ا عليه وسلم: "اتقوا النار، ثم أعرض وأشاح، ثم قال: اتقوا النار، ثم أعرض وأشاح (ثلاثاً) حتى ظنّنا أنّه ينظر إليها، ثم قال: اتقوا النار ولو بشقّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة"[1].

فلنحذر أن نكون ممن سيناقش الحساب، حتى لا نُعذب ولا نكون من أصحاب النار... فالظالمون والكافرون، والضالون، والمضلون، والمصرون على المجاهرة في المعاصي والمفسدون في الأرض، لا شك أنّهم ممّن سيناقشون الحساب ويعذبون، نعوذ با من عذاب النار.

فعن عائشة – رضي ا عنها – قالت: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: "ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول ا ، أليس قد قال ا تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا""[2]. فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحِساب يوم القيامة إلا عذب"[3].

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب من نوقش الحساب عذب، ج8، ص140.

[2] سورة الانشقاق، الآية 8.

[3] البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب من نوقش الحساب عذب، ج8، ص139.

المبحث الثالث

إنصاف المظلومين في الحياة الدنيا وفي الآخرة

قال تعالى: "والذين هاجروا في الله من بعدِ ما ظلموا لنُبوئنّهم في الدنيا حَسنةً ولأجرُ الآخرةِ أكبر لو كانوا يعلمون، الذين صبروا وعلى ربهم يتَوكلُون"[1].

يخبر الله تبارك وتعالى أن المظلوم لا يضيع حقّه في الدنيا ولا في الآخرة، فحقّه محفوظ عند الله تعالى، وجزاؤه كبير...

فهنا في الآية الكريمة يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته الذين فارقوا الدار والإخوان والخِلان رجاء ثواب الله وجزائه، وقد وعدهم الله تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة..

"من بعد ما ظلموا"؛ أي من بعد ما عذّبهم الكافرون ليفْتِنوهم عن دينهم، وليصدوهم عن دعوة الله إن استطاعوا، وكان هذا بالطبع من مشركي مكّة، لكن المؤمنين مضوا ثابتين صابرين لا تثنيهم الشدائد ولا توهنُهم الملِمات والفتن والنوائب عن عقيدتهم، فهاجروا بدينهم ابتغاء مرضاة الله ... وحفاظًا على دينهم، ليتمكّنوا من عبادة الله في حرية وأمان.

"لنُبوئَنهم في الدنيا حسنةً"؛ أي: لنُسكِنَنهم، والمباءة: المنزل[2]، قيل: والمراد بها: الحلول بالمدينة ليجدوا فيها أمنهم وسكينتهم واستقرارهم، وليكون لهم فيها السلطان والغلبة والظهور.

وقد تحقّق لهم بعد ذلك -بعون الله- الغلبة على أهل مكة من المشركين الذين ظلموهم وعذّبوهم واضطروهم للخروج والهجرة، فعادوا إلى مكّة فاتحين.. ثم تحقق لهم الغلبة على سائر البلاد بحمد الله وفضله..هذا في الدنيا.

---

[1] سورة النحل، الآيتان 41،42.

[2] الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، ج1، ص9.

أما في الآخرة، فقال تعالى: "ولأجر الآخرةِ أكبر لو كانوا يعلمون". ذلك تأكيد من ا تعالى على أن ثواب المؤمنين المهاجرين في سبيل ا أكبر مما أُوتوه في الدنيا من حسنة، فإن ثوابهم في الآخرة الجنّة وهي النعيم المقيم الذي لا يزول ولا يبيد، فجزاء أعمالهم في الآخرة أكبر من أن يعلمه أحد من خلق ا قبل أن يشاهده، ومنه قوله تعالى: "وإذا رأيتَ ثَم رأيتَ نَعِيما وملْكًا كَبِيرا"[1].

"لو كانوا يعملون"؛ أي: لو كان المتَخلّفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخـر ا لمـن أطاعه واتبع رسوله، ولهذا كان عمر بن الخطاب –رضي ا عنه– إذا أعطـى الرجـل مـن المهاجرين عطاءه يقول: خذ بارك ا لك فيه، هذا ما وعدك ا في الدنيا، وما ادخر لـك فـي الآخرة أفضل، ثم قرأ هذه الآية: "لَنُبوئَنهم في الدنيا حسنةً ولَأجر الآخِرةِ أكْبر لَو كانوا يعلَمون"[2].

ومن إنصاف ا تعالى لعباده المظلومين في الدنيا، وعده لهم بالنصر على عدوهم وأنه قادر على ذلك، وأن هذا وعد حق، وا لا يخاف الميعاد.. إضافة لأجرهم في اليوم الآخر..

قال تعالى: "أُذِن للذين يقَاتَلُون بِأَنهم ظُلِموا وإِن ا علَى نَصرِهِم لَقَدِير"[3].

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة، حيث قال أبو بكر رضي ا عنه: أخرجوا نبيهم إنا وإنّا إليه راجعون، ليهلكُن. ولما نزلت الآية أيضا قال أبو بكر: فعرفت أنّه سيكون قتال، ففي الآية إذن من ا سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين بأنّهم إذا صلحوا للقتال، أو قاتلهم المشركون قاتلوهم.

---

[1] سورة الإنسان، الآية 20.

[2] الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج3، ص163، 164. الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الـرازي الشافعي، **التفسير الكبير**، مفاتيح الغيب، ط1، 1421 هـ/ 2000 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـان، ج20، ص 35. الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، مرجع سابق، ج2، ص282. الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجـع سابق، ج2، ص331 ، 332. النسفي، أبو البركات، عبد ا بن أحمد، **تفسير النسفي**، مرجع سابق، ج2، ص287. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **لباب النقول في أسباب النزول**، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد محمد تامر، ط2، 1425هـ/2004م، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، ص158. قطب، سيد، **فـي ظـلال القرآن**، مرجع سابق، ج5، ص246. عبد العزيز، أمير، التفسير الشامل، مرجع سابق، ج4، ص 1923 ، 1924.

[3] سورة الحج، الآية 39.

قال المفسرون: كان مشركو مكّة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم وأيديهم فيشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول لهم: "اصبروا فإنّي لم أُومر بالقتال" حتى هاجر فأنزل الله سبحانه هذه الآية بالمدينة، وذلك لما اجتمعوا بالمدينة وصارت لهم شوكة ومنعة ودار إسلام ومعقل يأوون إليه، شرع الله الجهاد لقتال الظالمين الذين يعتدون على المسلمين ويصدون عن دين الله صدودا، فأباح الله لهم أن يقاتلوا عدوهم بعد أن أمرهم بالاصطبار، واحتمال الأذى والمكاره.

وعد الله للمؤمنين بالنصر:

إن وعد الله للمؤمنين الذين ظُلِموا وأُخْرِجوا من ديارهم بغير حقّ بالنصر على المشركين وعد حقّ، لكنّه تعالى كتب على عباده المؤمنين أن يبذلوا من الأعمال حسب إمكاناتهم في هذه الدنيا لينالوا رضوان الله، فالدنيا دار امتحان وابتلاء واختبار للعباد، ثم تفضي بعد ذلك إلى الحساب والجزاء[1].

ويقول سيد قطب -رحمه الله- في معرض تعقيبه على الآية الكريمة: " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا.."الآية لقد أذن الله للمسلمين بعد الهجرة إلى المدينة في قتال المشركين، ليدفعوا عن أنفسهم وعن عقيدتهم اعتداء المعتدين، بعد أن بلغ أقصاه، وليحققوا لأنفسهم ولغيرهم أن ينهضوا بتكاليف عقيدتهم التي بينها لهم..

وأكّد قطب أن قوى الشر والضلال تعمل في هذه الأرض، وهذه حقيقة ثابتة نعيشها في كل زمان، وفي هذا الزمان، والمعركة مستمرة بين الخير والشر، والهدى والضلال، والصراع قائم بين قوى الإيمان وقوى الطغيان منذ أن خلق الله الإنسان[2].

---

[1] الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج3، ص456 ، 457. ابن كثير، الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج2، ص546، 547. الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، مرجع سابق، ج3، ص91. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، مرجع سابق، ج4، ص2264، 2265.

[2] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج5، ص601 ، 602.

والشر جامح والباطل مسلّح، وهو يبطش غير متحرج، ويضرب غير متورع، ويملك أن يفتن الناس عن الخير إن اهتدوا إليه، وعن الحق إن تفتّحت قلوبهم له: فلا بد للإيمان والخير والحق من قوة تحميها من البطش، وتقيها من الفتنة وتحرسها من الأشواك والسموم.

ولم يشأ ا أن يترك الإيمان والخير والحق عزلاً تكافح قوى الطغيان والشر والباطل اعتمادا على قوة الإيمان في النفوس، وتغلغل الحق في الفِطَر، وعمق الخير في القلوب. فالقوة المادية التي يملكها الباطل، قد تزلزل القلوب وتفتن النفوس وتزيغ الفِطَر. وللصبر حد وللاحتمال أمد، وللطاقة البشرية مدى تنتهي إليه. وا أعلم بقلوب الناس ونفوسهم. ومن ثم لم يشأ أن يترك المؤمنين للفتنة، إلا ريثما يستعدون للمقاومة، ويتهيأون للدفاع، ويتمكنون من وسائل الجهاد.. وعندئذٍ أذِن لهم في القتال لرد العدوان وآذَنَهم أنه هو سيتولى الدفاع عنهم، فهم في حمايته "إن ا ـَ يدافِع عن الذين آمنُوا".. وأنّه تعالى يكره أعداء المؤمنين لكفرهم وخيانتهم، فهم مخذولون حتما وبإذن ا "إن ا ـَ لا يحِب كُل خَوانٍ كفُورٍ". وللمسلمين حق في الدفاع عن أنفسهم، فهم مظلومون غير معتدين، ولهم أن يطمئنوا إلى حماية ا لهم ونصره أياهم "وإن ا ـَ علَى نَصرهِم لَقَدير"[1].

جواز ذكر المظلوم مظلمته للناس:

هذا وقد أجاز ا تعالى للمسلم المظلوم أن يذكر ظالمه بما فيه من السوء لتبيين مظلمته للناس عسى أن يصل إلى حقه، أو يجد من يقف إلى جانبه فينصره، فان لم ينتصر لحقه في الدنيا فا ناصره؛ لأن ا سميع عليم.. وهذا من باب إنصاف المظلومين في الدنيا..

قال تعالى: " لا يحِب ا ـُ الجهر بالسوءِ مِن القَول إلا من ظُلِم وكان ا ـُ سميعا علِيما"[2].

---

[1] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج5، ص601، 602.

[2] سورة النساء، الآية 148.

قال ابن عباس في معنى هذه الآية لا يحب ا أن يدعو أحد على أحدٍ إلا أن يكون مظلوما، فإنّه قد ُأرخِص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله تعالى: "إلا من ظُلِم"، فيجوز للمظلوم أن يتظلّم من ظالمه وأن يذكره بما فيه من السوء.

وجملة القول: أن يتسامى المؤمن عن القول السيء في كل الظروف والأحوال إلا أن يكون مظلوما، فإن كان كذلك فله أن يجهر بالكشف عن ظلمه وعما حاق به من ظُلم[1].

إنصاف المظلومين:

ويحدثنا صلوات ا وسلامه عليه عن إنصاف ا تعالى لعباده المظلومين في الدنيا، وتكريمه تبارك وتعالى لهم في اليوم الآخر في جنات النعيم، نعيما لا يحول ولا يزول، فيقول صلوات ا وسلامه عليه: "من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلّله منها، فإنه ليس ثَم دينار ولا درهم، من قَبل أن يؤخَذَ لأخيه من حسناتِهِ، فإن لم يكن له حسناتٌ ُأخِذَ من سيئات أخيه فطُرِحت عليه"[2].

ويقول صلى ا عليه وسلم مؤكّدا عدم دخول حتى المسلم الجنة حتى ينقّى من الذنوب والمظالم، ويعطى كل ذي حق حقه، يقول صلوات ا وسلامه عليه: "يخْلُص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنّة والنار، فيقَص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذّبوا ونُقوا ُأذِن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدكم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا"[3].

[1] الشوكاني، محمد بن علي، **فتح التقدير**، مرجع سابق، ج1، ص531. الغرناطي، محمد بن أحمـد، **التـسهيل لعلـوم التنزيل**، مرجع سابق، ج1، ص290. ابن كثير، الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج1، ص452 ، 453. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج6، ص1-4. الألوسي، شهاب الدين، **روح المعاني**، مرجـع سابق، ج5، ص148. عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل**، ج2،ص849 ، 850.

2 البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب القصاص يوم القيامة، ج8، 138ص.

3 البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب القصاص يوم القيامة، ج8، ص138 ، 139.

خلود أهل الجنة بالجنة وأهل النار بالنار:

وأما عن خلود أهل الجنة بالجنة، فلا خروج، وخلود أهل النار بالنار، فيؤكدها صلى ا عليه وسلم في قوله: "إذا دخل أهل الجنة الجنّة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذّن بينهم: يا أهل النار لا موت، ويا أهل الجنة لا موت، خلود"[1].

وفي صحيح مسلم، جاء عن النبي صلى ا عليه وسلم: "يدخِل ا أهل الجنة الجنة، ويدخِل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذّن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه"[2].

نعيم الجنة:

وا تبارك وتعالى أعد أيضا لعباده المؤمنين الصابرين على البلاء في الدنيا وعلى ظلم الظالمين، والذين احتسبوا صبرهم عند ا عز وجلّ، أعد لهم نعيما لم تصل إليه عقولهم، فقال صلى ا عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: "أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأَتْ ولا أُذُن سمعتْ ولا خطر على قلبِ بشرٍ، مِصداق ذلك في كتاب ا : "فَلا تَعلَم نَفْس ما أُخْفِي لَهم مِن قُرةِ أَعينٍ جزاء بِما كَانُوا يعملُون"[3]. [4]

وهذا ما يجعل المسلم المظلوم والمغلوب على أمره، أن يصبر، ويعمل، ويوكل أمره ، ويأخذ بالأسباب في الدنيا، ليسعد بالفوز العظيم، والسعادة الأبدية، والنعيم الدائم الذي يعجز دونه الوصف..

1 البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، ج8، ص 141.
2 مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة ومنع نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ج8، ص53.
3 سورة السجدة، الآية 17.
4 مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ج8، ص143.

قال صلى الله عليه وسلم: "ينادي منادٍ إن لكم أن تَصحوا فلا تسقَموا أبدا، وإن لكم أن تَحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئِسوا أبدا، فذلك قوله عز وجلّ: "ونُودوا أَن تِلْكُم الجنةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُم تَعملُون"[1].[2].

فرح أهل الجنة:

ومن تكريم الله عز وجلّ لعباده المؤمنين الصابرين المظلومين في الدنيا، الذين حرموا الفرح الحقيقي والطمأنينة في حياتهم الدنيا، أنّه عز وجلّ يدخل الفرح والسرور إلى قلوبهم زيادة على دخولهم الجنة ليطمئنوا، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: "إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت، حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم"[3].

إنصاف المظلومين:

ويطَمئِن المسلم الذي ظُلم في الحياة الدنيا ولم يأخذ حقّه، ولم يتمكّن من الحصول على حقّه أو الوصول إليه رغم جهاده، وتضحياته بالمال والنفس والولد.. بأن حقّه إن ضاع في الدنيا فلن يضيع في الآخرة، فهؤلاء المسلمون الذين يقتلون من قِبل أعداء الله ويذبحون في فلسطين، والعراق، والصومال والسودان وأفغانستان بل وفي شتّى ديار الأرض، يقتّلون ويعذّبون بغير حقّ، ويسجنون، وينكّل بهم، ويعتَدى على أعراضهم وممتلكاتهم.. فهؤلاء جميعا سينصِفهم الله يوم القيامة وحقّهم محفوظ عند الله عز وجلّ، وسيأخذ الله لهم حقّهم ممن ظلمهم، فلا يغرنا ما وصل إليه أعداء الله اليوم من تقلّب في الأرض وفساد وإفساد وعدوان على الناس الآمنين بغير حقّ، فهؤلاء جميعا مأواهم جهنم وبئس المهاد.

---

[1] سورة الأعراف، الآية 43.

[2] مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب دوام نعيم أهل الجنة، ج8، ص148.

[3] مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ج8، ص 153.

قال تعالى: "لا يغُرنك تقَلب الذين كفَروا في البِلادِ، متَاع قَليلٌ ثُم مأْواهم جهنم وبِئْس المِهاد"[1]. ثم قال تعالى بعد هذه الآيات ليطمئِن المؤمنين الصابرين المتّقين المجاهدين المظلومين المعتَدى عليهم بغير حقّ، إن لم يحصلوا على حقّهم في الدنيا، فحقهم عند ا محفوظ، وسينصفهم، حيث قال تعالى: "لكِن الذين اتقَوا ربهم لَهم جناتٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأَنْهار خالِدين فِيها نُزلاً مِن عِندِ ا ِ وما عِنْد ا ِ خَير لِلأَبرار"[2].

إحسان الظن با :

فالمسلم يحسن الظن با عز وجلّ، الذي لا يضيع عنده حقّ البتّة، وقد أوصى الرسول الكريم صلوات ا وسلامه عليه، أوصى المسلم أن يحسن دائما الظن با عز وجلّ، وهذه من آخر وصاياه صلى ا عليه وسلم، فعن جابر بن عبد ا الأنصاري، رضي ا عنه قال: سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: "لا يموتَن أحدكم إلا وهو يحسن الظن با عز وجلّ"[3].

ولو مات إنسان في هذه الحياة الدنيا مع أناس ظالمين، فهذا لا يعني أن يحشر معهم، أو أن يدخل النار معهم.. فإن كان مسلما مخلصا ولدين ا ، فإنه يبعث يوم القيامة على ما مات عليه.. ويؤكّد هذا رسول ا صلى ا عليه وسلم في قوله: "يبعث كلّ عبد على ما مات عليه"[4].

ثبات المؤمنين على الحق:

كما أن ا تعالى من إنصافه وعدله بعباده، أنّه يثبت المؤمنين بالقول الثابت وكلمة الحق ليخرجوا عليها من الدنيا وعند سؤالهم في قبورهم، على عكس الظالمين الذين أضلّهم ا وأعمى أبصارهم..

---

1 سورة آل عمران، الآيتان 196 ، 197.

[2] سورة آل عمران، الآية 198.

[3] مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن با تعالى عند الموت، ج8، ص 165.

4 مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن با تعالى عند الموت، ج8، ص165.

قال تعالى: "يثَبتُ ا ُ الذين آمنُوا بِالقَول الثّابِتِ فِي الحياةِ الدنْيا وفِي الآخِرة، ويضِل ا ُ الظّالِمِين، ويفْعلُ ا ُ ما يشَاء"[1].

وعن البراء بن عازب، رضي ا عنه، عن النبي صلى ا عليه وسلم قال: "يثبت ا الذين آمنوا بالقول الثابت". قال: نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي ا ، ونبيي محمد صلى ا عليه وسلم، فذلك قوله عز وجلّ: "يثَبتُ ا ُ الذين آمنُوا بِالقَول الثّابِتِ فِي الحياةِ الدنْيا وفِي الآخِرة"[2].

عدل ا المطلق:

أما من يدخل الجنة ومن يدخل النار، فيخبرنا عنهم صلى ا عليه وسلم، مؤكّدا إنصاف ا تبارك وتعالى لعباده، وعدله المطلق، حيث ينصف الضعيف والمستضعف، ويهلك الظالم المسكتبر في الأرض. قال صلى ا عليه وسلم: "احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال ا عز وجلّ لهذه: أنت عذابي ُأعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها"[3].

فصفة أهل الجنة التواضع ولين الجانب، وغالب من يدخلها من الضعفاء، ومن الذين استُضعفوا في الحياة الدنيا وظُلموا، ومنعوا حقوقهم، واستقوى عليهم الأقوياء والجبارون والمتكبرون، من هنا كان غالب أهل النار من المتكبرين والجبارين والمتبخْتِرين الذين لا يرون غيرهم من الناس.

---

1 سورة إبراهيم، الآية 27.

2 مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه واثبات عذاب القبـر والتعوذ منه، ج8، ص 162.

3 مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ج8، ص150 ، 151.

تمحيص الإيمان بالمحن:

ولما كانت الجنة لا ينالها الإنسان المسلم إلا بالصبر على البلاء والمحن، ولما كانت الدنيا دار امتحان واختبار وتمحيص للإيمان، ودار ابتلاء ومحن لا تنتهي، فقد حفّت الجنة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات، وما دام الإنسان على قيد الحياة فهو معرض للامتحان والابتلاء حتى يلقى ا ، فمن رضِي فله الرضى ومن سخِطَ فله السخط.

قال صلى ا عليه وسلم: "حجِبت النار بالشهوات وحجِبت الجنة بالمكاره"[1]. وقال صلى ا عليه وسلم: "إن ا إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضِي فله الرضى، ومن سخط فله السخط". وزاد أحمد "ومن جزع فله الجزع"[2].

الفتنة في الدنيا:

وفي القرآن الكريم، أكّد ا تعالى فتنته للناس وامتحانه لهم في الحياة الدنيا ليختبر صدق الإيمان عندهم، وليكشف الكاذبين فقال سبحانه: "ألم أحسب الناس أن يتْركُوا أن يقُولُوا آمنا وهم لا يفْتَنُون، ولَقَد فَتَنا الذين مِن قَبلِهم فَلَيعلَمن ا ُ الذين صدقوا ولَيعلَمن الكاذِبين"[3].

ضيافة أهل الجنة:

ومن إنصافه تبارك وتعالى لمن ظُلم من عباده في الحياة الدنيا، حسن الضيافة والتكريم، وتعويضهم عما فاتهم من نعيم الدنيا الزائل، بالنعيم الدائم وزيادة، ويؤكّد حسن الضيافة لأهل الجنة، رسولنا الأكرم صلى ا عليه وسلم حيث يقول: "إن ا يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، يقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، ج8، ص127.

[2] أحمد بن حنبل، **المسند**، ج5، ص427، حديث رقم 23672. الترمذي، **السنن**، كتاب الزهد، باب ما جاء في الـصبر على البلاء، ج4، ص601، حديث رقم 2396

[3] سورة العنكبوت، الآيتان 2- 3.

تعطِ أحدا من خلقك، فيقول: أنا أُعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا"[1].

شفاعة النبي ﷺ:

ومن إنصاف الله تبارك وتعالى لعباده المظلومين في الحياة الدنيا، أن تشملهم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، بخلاف الذين غيروا وبدّلوا من أمته، صلى الله عليه وسلم، فإنّهم حين يذادون عن حوضه، ويعلم من الله تغييرهم في دينهم وانحرافهم عنه، فإنه يقول: سحقًا سحقًا. أما المؤمنون الصابرون والمجاهدون الذين ظلموا في الدنيا فتشملهم الشفاعة بإذن الله، والتي ادخرها صلى الله عليه وسلم ليوم القيامة، حيث يقول: "لكلّ نبي دعوة مستجابة، فتعجلَ كلّ نبي دعوته، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة، إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا"[2].

تمييز أهل الجنة عن أهل النار:

هذا وقد عرفَ عند الله عز وجلّ، أهل الجنة من أهل النار، والعمل في الدنيا لكل منهما ميسر لما خُلِقَ له، لحديث عمران بن حصين قال: قال رجل يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: "كل يعمل لما خُلِقَ له أو لما يسر له"[3].

---

[1] البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب صفة الجنة والنار، ج8، ص142. مسلم، **الصحيح**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا، ج8، ص144.

2 مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم، دعوة الشفاعة لأمته، ج1، ص131.

3 البخاري، **الصحيح**، كتاب الدعوات، باب في القدر، باب جفّ القلم على علم الله وأضله الله على علم، ج8، ص 153.

إجزال العطاء:

ومن عظيم رحمة ا بعباده المؤمنين إجزاله في العطاء والثواب وتكفير السيئات عن كل ما يصيبهم في الدنيا من مرض أو حزن، حتى الشوكة يشاكها المؤمن فيصبر ويحتسب ولا يتضجر يؤجر عليها ويكفر بها عنه من سيئاته..

فعن عائشة رضي ا عنها أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: ما من مصيبة يصاب بها المسلم إلا كُفر بها عنه، حتى الشوكة يشاكها"[1].

وقال صلى ا عليه وسلم: "ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتَب ا له بها حسنة أو حطتْ عنه بها خطيئة"[2]. وقال صلى ا عليه وسلم: "ما يصيب المؤمن من وصبٍ ولا نَصبٍ ولا سقَمٍ ولا حزنٍ حتّى الهم يهمه إلا كُفر به من سيئاته"[3].

ومعنى الوصب: المرض[4]، والنصب: التعب[5]، الحزن: والحزن ضد السرور[6].

إفلاس الظالمين يوم القيامة:

ولا يحسبن الذين يعتدون على حقوق الناس، ويظلمون الناس في الدنيا، أو يشتمونهم، أو يعتدون على أعراضهم أو دمائهم أو أموالهم، أن صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحتّى حجهم سينفعهم إن ماتوا وهم مصرون على ظلم الناس والاعتداء عليهم.. إنهم مفلسون يوم القيامة وخاسرون ونادمون ساعة لا ينفعهم ندمهم..

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيها يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ج8، ص15.

[2] مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، الباب السابق، ج8، ص15، 16.

[3] مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، ج8، ص16.

[4] الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص724.

[5] الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص661.

[6] الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص134.

فعن أبي هريرة رضي ا عنه أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم معه ولا متاع، فقال: "إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"[1]. وقال صلى ا عليه وسلم: "إن الظلم ظلمات يوم القيامة"[2]. وقال صلى ا عليه وسلم: "لتُؤَدُّن الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"[3].

ومعنى: يقاد، من القود وهو القصاص، فنقول: أقاد القاتل بالقتيل: قتله به"[4].

ومعنى: الجلحاء التى لا قرن لها، والحيوان الأجلح: أي الذي لا قرن له"[5].

ميزان العدل عند ا :

فإنصاف ا تعالى لخلقه إنصاف مطلق، فلا يظلم عنده سبحانه وتعالى أحد، ولا يضيع عنده حق لمظلوم، حتى لو كان الظالم حيوان لحيوان مثله، فميزان ا ميزان العدل، وقد توعد الذين يعذبون الناس في الدنيا بالعذاب الشديد يوم القيامة، وما أكثر تعذيب الإنسان لأخيه الإنسان عبر الزمان وفي هذا الزمان، بوسائل شتى، ومواد مختلفة كالمواد الكيماوية التي تذيب الإنسان، وتزيل أثره، فويل للذين يعذبون الناس ولا يحسبون حساب اليوم الآخر، ويل لهم، ويل لهم.

فعن هشام بن حكيم بن حزام قال: إنه مر بالشام على أناس وقد أقيموا في الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذّبون في الخراج، فقال: أما إني سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم يقول: "إن ا يعذب الذين يعذبون في الدنيا" وفي رواية عن

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج8، ص18.

[2] مسلم، **الصحيح،** كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج8، ص18.

[3] مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج8، ص19.

[4] الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص555.

[5] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ج1، ص129.

هشام أنّه قال: أشهد لسمعتُ رسول ا صلى ا عليه وسلم يقول: "إن ا يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا"[1].

دخول الجنة برحمة ا :

وبعد كلّ ما ذُكِر من نصوص شرعية في الكتاب والسنة من ثبات حقوق المظلومين عند ا عز وجلّ، وإنصاف ا للمظلومين من الناس في الحياة الدنيا وفي الآخرة، يجب علينا أن نتذكّر ونوقن بأنّه لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة ا عز وجلّ.

لقوله صلى ا عليه وسلم: "ما من أحد يدخِلُه عملُه الجنة، فقيل: ولا أنت يا رسول ا ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني ربي برحمة"[2]. وفي رواية: "ولا أنا إلا أن يتغمدني ا منه بفضل ورحمة"[3].

وقال صلى ا عليه وسلم حاثًّا أمته على العمل، ومؤكّدا في الوقت نفسه على عظيم رحمة ا بعباده، والتي بها يدخلون الجنة بإذن ا ، فقال: "قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: يا رسول ا ، ولا أنت؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني ا برحمة منه وفضل"[4].

شكر ا على نعمه:

من هنا نجده صلى ا عليه وسلم كان يجتهد في العبادة والطاعة رب العالمين، شاكرا على عظيم عطائه ورحمته بعباده، فتروي عائشة رضي ا عنها أن رسول ا صلى

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، ج8، ص32.

[2] مسلم، **الصحيح**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة ا تعالى، ج8، ص140.

[3] مسلم، **الصحيح**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة ا تعالى، ج8، ص140.

[4] مسلم، **الصحيح**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة ا تعالى، ج8، ص140.

ا عليه وسلم كان إذا صلى قام حتى تفطّر رجلاه. قالت عائشة: "يا رسول ا : أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر، فقال: يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا"[1].

رحمة ا بالعباد:

ومن رحمته تبارك وتعالى لعباده، وعفوه عنهم، ومغفرته لذنوبهم سترها عليهم في الدنيا، ومغفرتها يوم القيامة، وإكرام نُزلهم، على عكس الكافرين والمنافقين الذين يطردهم من رحمته وعفوه ويلعنهم لعنًا كبيرا.

فعن عبد ا بن عمر رضي ا عنهما قال: سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم يقول: "إن ا يدني المؤمن فيضع عليه كَنَفَه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنّه هلك قال: سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته.

وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: "هؤلاءِ الذين كَذَبوا علَى ربهم، أَلا لَعنَةُ ا ِ علَى الظّاِلمين"[2].[3]

وبعد كل ما سبق، أما آن للظالم أن يتوب ويؤوب إلى ا عز وجلّ، ويحذر عاقبة الظالمين، ودعوة المظلومين التي ليس بينها وبين ا حجاب؟!

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ج8، ص142.
[2] سورة هود، الآية 18.
[3] البخاري، **الصحيح**، كتاب المظالم، باب قول ا تعالى: "ألا لعنة ا على الظالمين"، ج3، ص168. مسلم، **الصحيح**، كتاب التوبة، باب توبة القاتل وإن كثر قتله، ج8، ص105.

فعن أبي هريرة رضي ا عنه قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم، يرفعها ا فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول لها الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنّكِ ولو بعد حين"[1].

وعن ابن عباس رضي ا عنهما أن النبي صلى ا عليه وسلم بعث معاذًا إلى اليمن فقال: اتق دعوةَ المظلوم فإنها ليس بينها وبين ا حجاب"[2].

---

[1] البخاري، في **الأدب المفرد**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، 1409 هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ج1، ص32، حديث رقم 841.

[2] البخاري، **الصحيح**، كتاب في اللقطة، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، ج3، ص169، 170.

الخاتمة

الحمد   رب العالمين، ناصر المظلومين، ومهلك الظالمين، والصلاة والسلام على الرسول الكريم المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذه رسالة كتبتها في فترة نعيشها يمارس فيها الظلم، وتتسع دائرته وتتكرر بصور متعددة ضد الإنسان من أخيه الإنسان، مبيناً أنواع الظلم الثلاثة: الشرك با ، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وظلم الإنسان لنفسه. وإنكار نصوص الكتاب والسنة بالظلم وعاقبة الظالمين في الدنيا والآخرة وأجر وثواب المظلومين الصابرين الذين سلموا أمرهم إلى ا بعد أن عجزوا عن مواجهة المعتدين، فغلب على أمرهم، فانتصر ا لهم في الدنيا، وأثابهم على صبرهم خير الجزاء في الآخرة، وأنصفهم حيث لا يظلم عنده أحدا، لأنه العدل المطلق. وما أحوج الظالمين والمظلومين جميعاً إلى النصح والتذكير في زمن زاد فيه المنكر، وطغى فيه الظلم والظالمون.

وإنني أود أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها بعد أن فتح ا علي بفضله، فأتممت كتابة هذه الرسالة المتواضعة، فمنها:

- توصلت من خلال بحثي ودراستي هذه إلى إن مفهوم الظلم، هو وضع الشيء في غير موضعه، وأصل الظلم هو الجور ومجاوزة الحد. ولا شك في أن الظالم هو متجاوز للخطوط أو الحدود التي رسمها ا للإنسان، كونه خالف أمر ا واعتدى على حقوق الآخرين بغير حقّ، فتجاوز الحد.

- من خلال دراستي وبحثي في موضوع الظلم والظالمين تأكد لي إن الظلم أمر قديم ومتجدد في كلّ زمان ومكان، بدأ منذ نسي آدم وأكل من الشجرة التي نهاه ا عن الأكل منها هو وزوجه، فظلم نفسه، فنزل إلى الأرض ليقع الامتحان لبني آدم من بعده... فكان أول من وقع منه الظلم ابن آدم حين قتل آخاه بغير حقّ، ليصيبه بعد ذلك من الإثم بقدر

ما يقع على الأرض من جرائم القتل بغير حقّ. للحديث الصحيح: "لا تُقتل نفس ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ مِن دمها؛ لأنّه كان أول من سن القتل"[1].

- كما وتأكد لي أن الظالم شخصية معقدة نفسياً، منحرفة أخلاقياً ودينياً، يعتقد في قرار نفسه أنه عادل وليس بظالم وذلك دليل جهله المركب وظلمه لنفسه قبل أن يظلم غيره.

- وإن المتدبر لآي القرآن الكريم والدارس للحديث الشريف يجد الكم الكبير من الآيات في كتاب ا عز وجلّ، والأحاديث النبوية الشريفة والتي تحدثت عن الظلم والظالمين والوعيد الذي أطلقته نصوص الشرع بحق الظالمين وسوء عاقبتهم، ووعد ا بنصرة المظلومين في الدنيا، وإنصافهم في اليوم الآخر، فلا يحقّ الحقّ إلا ا ، الملِك المالك العدل، فتبارك ا رب العالمين.

- إن مجيء هذا الكم الكبير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، عن الظلم والظالمين والمظلومين يؤكد حقيقة الظلم الواقع في الأرض من الإنسان وأنه شيء عظيم. وأن العدل المطلق لا يتحقق إلا في اليوم الآخر عند ا رب العالمين، أما في الدنيا فأمر مستحيل...

- توصلت من خلال دراستي لحقيقة الظلم والظالمين إلى أن رحمة ا بعباده واسعة وإن ظلموا،، فإن أمرهم إلى ا عز وجلّ إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

- ومن المؤكد إن ا أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، ومحذرين للناس من الظلم والطغيان في الأرض، ومؤكدين على حقيقة الثواب والعقاب، والجنة والنار، والدنيا والآخرة، فمن عرف ذلك، فإنه لا يعذر عند ا إن ظَلَم أو طغى أو غدر أو اعتدى على حقوق المخلوقين، وهو يتحمل وزر نفسه.

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب بيان إثم من سن القتل، حديث رقم 1677، ص844.

- وإن اليوم الأخر، هو يوم العدل والإنصاف، عند من لا يظلم عنده أحد، وما ا بظلام للعبيد.

- كما وتأكد لي أن هذا التصور القرآني يثبت العدل والكمال المطلق تعالى، وينزهه عز وجلّ عن كل نقص وجهل وهوى وظلم.

- وأن الظلم ذنب عظيم، وأن الذنوب والمعاصي داء كبير، ودواء الذنوب وشفاؤها يكون بالاستغفار، وباب الاستغفار مفتوح إلى أن تصل الروح الغرغرة فُيغلق، فبإمكان كل ظالم ومذنب أن يتوب ا ، بل ويبادر بالتوبة ويسارع إليها، ولا ييأس من رحمة ا ولا يقنط، والأمر الوحيد الذي لا يغفره ا تعالى هو الشرك، نعوذ با تعالى من الشرك وأهله...

- إن الإسلام دين العدل والإنصاف، فليعمل العاملون لتحقيق حكم ا في الأرض، والحكم بما أنزل ا ، ولا يتحقق ذلك إلا بالجهاد في سبيل ا والبذل والعطاء وابتغاء مرضاة ا . قال تعالى: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"[1]

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين

[1] سورة آل عمران، الآية 104.

توصيات مقترحة

- أوصي نفسي بادئ ذي بدء بعدم الظلم.

- ثم أوصي كل إنسان مسلم بتجنّب الظلم، وإن ظلم فعليه إعادة الحق إلى أهله، وبالسرعة الممكنة ليدرك نفسه، فما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت، ومتى يأتيها الأجل.

- كما وأوصي كل ظالم بطلب المسامحة ممن ظلَمَ؛ لأنه حقّ من الحقوق التي لا يتركها ا ولا يغفرها حتى يسقطها صاحب الحقّ عمن ظلَمه.

- أوصي كل مسلم أن يجلس جلسة صفاء مع نفسه كل يوم وليلة، فيحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وليتذكر أن هناك حساب وعقاب، وأجر وثواب، ومن نوقش الحساب فقد عذب.

- إن الظلم بأنواعه الثلاثة: الشرك، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وظلم الإنسان نفسه. أمر عظيم، فأوصي كل من وقع في نوع من هذه الأنواع بالمسارعة بالتوبة والاستغفار والندم على ما فات، وبتجديد العهد مع ا ، فالاعترافُ بالذنب فضيلة.

- أوصي ذوي الأمر والسلطان بإنصاف المظلومين، والعمل على إعادة الحقوق لهم بالسرعة الممكنة، فالحاكم راع وهو مسؤول أمام ا يوم القيامة عن رعيته، وسيسأل عنها حفظ أم ضيع.

- نحن في زمن طغى فيه الظلم في شتى أنحاء الأرض، وحكم فيه الظالمون، فأوصي أهل الحق من الدعاة والعلماء والفقهاء من مسلمي الأرض أن يصدعوا بالحق، وأن يقفوا صفاً واحداً أمام الظالمين، وينكروا المنكر، فأعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

- إن الظالم لا يتوقف عن ظلمه إلا من يصده وينكر عليه ظلمه، فلتقم جمعيات ومؤسسات عالمية لمحاربة الظلم وأهله في شتى ديار الأرض، لتفضح الظالمين وجرائمهم وممارستهم

القمعية، وإننا اليوم في عصر إنتشار الفضائيات العالمية، ووسائل الإتصال الحديثة ونقل المعلومات عبر شبكات المعلومات العالمية (الإنترنت).

- بذلك نستطيع أن نشكل سداً منيعاً وثورة عارمة على الظلم والظالمين في الأرض بإذن ا .

نسأل ا تعالى العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
وا متم نوره	8	الصف	12
وقل جاء الحق وزهق الباطل	84	الإسراء	12
ولقد صـدق علـيهم إبليس ظنه	20	سبأ	12
فكبكبـوا فيهـا هـم والغاوون	94، 95	الشعراء	12
وقال فرعون ذروني أقتل موسى	26	غافر	12
وقال الملأ من قـوم فرعون	127	الأعراف	12
إن فرعون وهامـان وجنودهمـا كـانوا خاطئين	8	القصص	14
ونريد أن نمن علـى الذين استضعفوا فـي الأرض	5، 6	القصص	14
ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب	165 ـ 167	البقرة	14
لا إكراه في الدين	256	البقرة	18
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم	52	غافر	19
ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب	165	البقرة	19

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
ومــن يطــع ا ورسوله ويخـش ا ويتقه	52	النور	20
إن الــذين يخــشون ربهم بالغيـب لهـم مغفرة	12	الملك	20
رضــي ا عــنهم ورضوا عنه	8	البينة	20
فلا تخافوهم وخافون	175	آل عمران	20
أتخشونهم فا أحـق أن تخشوه	13	التوبة	20
وسيعلم الذين ظلمـوا أي منقاب ينقلبون	227	الشعراء	20
والذي يظلمون الناس ويبغون في الأرض	42	الشورى	20
وترى الظالمين لمـا رأوا العذاب	44	الشورى	21
اقتـرب للناسـب حسابهم	1 ـ 3	الأنبياء	21
ا لا إلــه إلا هــو ليجمعنكم إلـى يـوم القيامة	87	النساء	21
ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف	66 ـ 68	مريم	21
ولا يظلم ربك أحدا	49	الكهف	22

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
وما ا يريد ظلمـاً للعالمين	108	آل عمران	22
إن ا لا يظلم مثقال ذرة	40	النساء	22
إن ا يأمر بالعـدل والإحسان	90	النحل	23
وإذا قلتم فاعدلوا	152	الأنعام	23
وليكتب بينكم كاتـب بالعدل	282	البقرة	23
وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل	58	النساء	23
وأوفـوا الكيـل والميزان بالقسط	152	الأنعام	23
وقضي بينهم بالقسط	54	يونس	23
ونـضع المـوازين القسط	47	الأنبياء	23
لقد أرسـلنا رسـلنا بالبينات	25	الحديد	23
والـسماء رفعهـا ووضع الميزان	7 ـ 9	الرحمن	24
وقل آمنت بما أنـزل ا من كتاب	15	الشورى	24
وليس عليكم جنـاح فيما أخطأتم به	5	الأحزاب	24

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
ألا تزر وازرة وزر أخرى	38 ـ 41	النجم	24
وكذلك جعلناكم أمـة وسطا	143	البقرة	24
إن الشرك لظلم عظيم	13	لقمان	26، 27
والكـ ـافرون هـ ـم الظالمون	254	البقرة	26
كذلك لنصرف عنـه السوء والفحشاء	24	يوسف	26
شهد ا أنه لا إله إلا هو	18	آل عمران	26
الـ ذين آمنـ وا ولـ م يلبسوا إيمانهم بظلم	82	الأنعام	28
يا بني لا تشرك با	13	لقمان	28
الذين تتوفاهم الملائكة طيبين	32	النحل	28
وسيق الـ ذين اتقـ وا ربهم إلى الجنة	73	الزمر	28
ليميز ا الخبيث من الطيب	37	الأنفال	28
قال فرعون وما رب العالمين	23	الشعراء	29
وقـ ال فرعـ ون يـ ا هامان ابن لي	36، 37	غافر	29

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
إذ قال إبراهيم ربـي الذي يحيي ويميت	258	البقرة	30
قل إنما أنا بشر مثلكم	110	الكهف	30
وما أمروا إلا ليعبدوا ا مخلصين له الدين	5	البينة	30
قل أتعبدون من دون ا ما لا يملك لكم	76	المائدة	31
أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون	191 ـ 198	الأعراف	31
قـل ادعـوا الـذين زعمتم من دونه	56	الإسراء	32
إن ا لا يغفـ ـر أن يشرك به	48	النساء	32
ومن يـشرك بـا فكأنما خر من السماء	31	الحج	32
تـا إن كنـا لفـي ضلال مبين	97، 98	الشعراء	33
مالكم لا ترجـون وقارا	13	نوح	33
قل إنما أنا بشر مثلكم	110	الكهف	33
وما ربك بظلام للعبيد	46	فصلت	34
المال والبنون زينـة الحياة الدنيا	46	الكهف	35
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا	6	التحريم	35

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
ووصـــينا الإنـــسان بوالديه حسنا	8	العنكبوت	36
ولا تقتلوا أولادكم من إملاق	151	الأنعام	37
ولا تقتلـوا أولادكـم خشية إملاق	31	الإسراء	37
ومن يتق ا يجعل له مخرجا	3	الطلاق	37
والذين لا يدعون مع ا إلهاً آخر	68	الفرقان	37
وليخش الـذين لـو تركوا من خلفهم ذرية	9	النساء	38
ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم	221	البقرة	39
يا أيها النـاس اتقـوا ربكم الذي خلقكم	1	النساء	39
ومن آياته أن خلـق لكـم مـن أنفـسكم أزواجا	21	الروم	39
فاتقوا ا وأصـلحوا ذات بينكم	1	الأنفال	40
وعاشـــــروهن بالمعروف	19	النساء	40
ولهـن مثـل الـذي عليهن بالمعروف	228	البقرة	40

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
والذاكرين ا كثيراً	35	الأحزاب	42
واعبدوا ا ولا تشركوا به شيئاً	36	النساء	43
ولا تحسبن ا غافلا	42	إبراهيم	47
لأنتم أشد رهبة في صدورهم من ا	13	الحشر	47
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة	60	الأنفال	48، 51
ولا تزر وازرة وزر أخرى	164	الأنعام	48
ولا تجسسوا	12	الحجرات	50
يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم	71	النساء	51
سنريهم آياتنا في الآفاق	53	فصلت	51
وآتوا اليتامى أموالهم	2	النساء	54
ومن يتبدل الكفر بالإيمان	108	البقرة	55
أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير	61	البقرة	55
وإن تخالطوهم فإخوانكم	220	البقرة	55
من أنصاري إلى ا	53	آل عمران	55
من أنصاري إلى ا	14	الصف	55

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
ويسألونك عن اليتامى كل إصلاح لهم خير	220	البقرة	56
محمـــد رســـول ا والذين معـــه أشـــداء على الكفار	29	الفتح	56
يـــوم لا يخـــزي ا النبي والذين آمنـــوا معه	8	التحريم	57
واعلمـــوا أن فـــيكم رسول ا	7	الحجرات	57
ولـــو ابتـــع الحـــق أهـــواءهم لفـــسدت السماوات والأرض	71	المؤمنون	57
والذين جـــاءوا مـــن بعدهم يقولون ربنـــا اغفر لنا	10	الحشر	59
وما ظلمونـــا ولكـــن كانوا أنفسهم يظلمون	57	البقرة	60
وما ظلمونـــا ولكـــن كانوا أنفسهم يظلمون	160	الأعراف	60
وما ظلمهم ا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون	33	النحل	60
وما ظلمناهم ولكـــن كانوا أنفسهم يظلمون	101	هود	60
إن ا لا يظلم الناس شيئاً	44	يونس	60

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
ومن يعمل سـوءا أو يظلم نفسه	110	النساء	60
ألا بذكر ا تطمـئن القلوب	28	الرعد	61
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	110	البقرة	62
حـافظوا علـى الصلوات والـصلاة الوسطى	238	البقرة	62
إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا	103	النساء	62
وما أمروا إلا ليعبدوا ا مخلصين له الدين	5	البينة	62
خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها	103	التوبة	63
يا أيها الـذين آمنـوا كتب عليكم الصيام	183	البقرة	63
و على الناس حـج البيت	97	آل عمران	63
وأتموا الحج والعمرة	196	البقرة	63
وأذن في الناس بالحج	27	الحج	63
وسارعوا إلى مغفرة من ربكم	133	آل عمران	63

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا ا	135	آل عمران	64
الذين آمنوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم	82	الأنعام	66
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم	44، 45	الأنعام	66
حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة	44	الأنعام	66
ومن أظلم ممن منع مساجد ا أن يذكر فيها اسمه	114	البقرة	66
ومالهم ألا يعذبهم ا وهم يصدون عن المسجد الحرام	34	الأنفال	70
وضرب ا مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة	112، 113	النحل	71
أولم نمكن لهم حرماً آمنا	57	القصص	71
ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا كفرا	28	إبراهيم	71
لقد من ا على المؤمنين إذ بعث فيه رسولا	164	آل عمران	72

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون	227	الشعراء	72
وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم	30	الشورى	72
ولو يؤاخذ ا الناس بما كسبوا	45	فاطر	72
ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس	41	الروم	73
وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة	102	هود	73، 76
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا	52	النمل	73، 92
فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم	59	البقرة	73
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم	54	الأنفال	73
كم تركوا من جنات وعون	25 ـ 27	الدخان	73
لقد كان لسبأ في مسكنهم آية	15 ـ 19	سبأ	74
وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح	42 ـ 45	الحج	75

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
وقـارون وفرعـون وهامان	39، 40	العنكبوت	75
ففتحنا أبواب الـسماء بماء منهمر	11، 12	القمر	75
إن في ذلك لـذكرى لمن كان له قلب	37	ق	76
بـديع الـسماوات والأرض	117	البقرة	76
واتقوا ا الذي إليـه تحشرون	96	المائدة	76
وقالوا يا ويلنـا هـذا يوم الدين	20 ـ 23	الصافات	77
ويوم يعض الظـالم على يديه	27	الفرقان	78
ربنا إنك من تـدخل النار فقد أخزيته	192	آل عمران	79
يوم يدعون إلى نـار جهنم دعاذ	13 ـ 16	الطور	79
يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه	11 ـ 18	المعارج	79
وأنذرهم يوم الحسرة	39	مريم	80
ليجزي الذين أساءوا بما عملوا	31	النجم	81
أفحسبتم أننا خلقنـاكم عبثا	115	المؤمنون	80

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
هو الذي يبدأ الخلـق ثم يعيده	27	الروم	81
يوم نحـشر المتقـين إلى الرحمن وفدا	85، 86	مريم	81
إن هـو إلا وحـي يوحى	4	النجم	83
ثم نفخ فيه أخرى	68	الزمر	84
من جاء بالحسنة فله خير منها	89	النمل	85
يـوم يـدعوكم فتستجيبون بحمده	52	الإسراء	85
يوم ترجـف الأرض والجبال	14	المزمل	87
يوم ترجف الراجفة	6 ـ 9	النازعات	87
فكيف تتقون إن كفرتم	17، 18	المزمل	87
إن هذه تذكرة	19	المزمل	88
وتـرى المجـرمين يومئذ مقـرنين فـي الأصفاد	49، 50	إبراهيم	88
تلفح وجوههم النار	104	المؤمنون	88
إذ الأغـلال فـي أعناقهم	71، 72	غافر	89، 91
يوم يسحبون في النار على وجوههم	48 ـ 50	القمر	89

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا	8، 9	يس	89
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك	29	الإسراء	90
إن الذين حقت علـيم كلمة ربك	96، 97	يونس	91
ولهم مقامع من حديد	21	الحج	91
كلمـ ـ ـا أرادوا أن يخرجوا منها من غم	22	الحج	91
كلما نضجت جلودهم	56	النساء	91
يطوفون بينها وبـين حميم آن	44	الرحمن	92
خذوه فـاعتلوه إلـى سواء الجحيم	47 ـ 49	الدخان	92
وسيعلم الذين ظلموا	227	الشعراء	92
لأنتم أشد رهبة فـي صدورهم من ا	13	الحشر	93
إن الـ ـذين كفـ ـروا ينفقـ ـون أمـ ـوالهم ليصدوا	36	الأنفال	93
بماء كالمهل يـشوي الوجه	29	الكهف	93
من ماء صديد	16	إبراهيم	93
إذا رأتهم من مكـان بعيد	12 ـ 14	الفرقان	94

الصفحة	اسم السورة	رقم الآية	الآية
94	البقرة	281	واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى ا
94	الأعراف	50	ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة
95	القصص	12	وحرمنـــا علـــيهم المراضع
96	الكهف	29	وأن يستغيثوا يغـاثوا بماء كالمهل
96	الأعراف	51	اتخذوا ديـنهم لهـواً ولعبا
96	الأعراف	44	ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار
97	غافر	52	يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
98	الشورى	22	ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا
98	فاطر	36، 37	والذين كفروا لهم نار جهنم
98	الأعلى	13	ثم لا يموت فيها ولا يحيا
98	الزخرف	74، 75	إن المجـــرمين فـــي عذاب جهنم خالدون
98	الأنعام	28	لعادوا لما نهوا عنـه وإنهم لكاذبون

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	15	الإسراء	99
كلما ألقي فيها فـوج سألهم خزنتها	8، 9	الملك	99
كلمـ ـ ـ ـا أرادوا أن يخرجوا منها	22	الحج	100
أذلك خيـر نـزلا أم شجرة الزقوم	62 ـ 68	الصافات	100
اتقوا ا حق تقاته	102	آل عمران	100
ذلك اليوم الحق	39، 40	النبأ	101
إن ا لا يغفـ ـ ر أن يشرك به	116	النساء	101
فـاتقوا النـار التـي وقودهـ ـا النـ ـاس والحجارة	24	البقرة	101
فأما من أوتي كتابـه بيمينه	8	الإنشقاق	102
والذين هاجروا فـي ا	41، 42	النحل	103
وإذا رأيت ثم رأيـت نعيماً	20	الإنسان	104
أذن للـذين يقـاتلون بأنهم ظلموا	39	الحج	104
لا يحب ا الجهـر بالسوء	148	النساء	106

الآية	رقم الآية	اسم السورة	الصفحة
فلا تعلم نفـس مـا أخفي لهم	17	السجدة	108
ونودوا أن تلكم الجنة	43	الأعراف	109
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد	196، 197	آل عمران	110
لكن الذين اتقوا ربهم	198	آل عمران	110
يثبت ا الذين آمنوا بالقول الثابت	27	إبراهيم	111
الم، أحسب الناس أن يتركوا	2، 3	العنكبوت	112
هؤلاء الذين كـذبوا على ربهم	18	هود	117
ولتكن منكم أمة	104	آل عمران	121

فهرس الأحاديث

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

- ابن باز، عبد العزيز بن عبد ا ، **فضل الجهاد والمجاهدين**، ط1، 1411هـ، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية.

: **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، ط1، 1410هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **السـياسة الشـرعية في إصلاح الراعي والرعية**، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

- ابن تيمية**،** أحمد بن عبد الحليم، **فتاوى ابن تيمية،**، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، توزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية، بدون تاريخ.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علـي، **غريـب الحـديث**، ط1، 1405هـ/1985م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيـق: د.عبـد المعطـي أمـين القلعجي.

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيـق: محمد فؤاد عبد الباقي، بدون تاريخ، مكتبة الرياض.

- ابن حزم، علي بن أحمد، **الأخلاق والسير**، تحقيق: الطّاهر مكي، دار المعارف، القاهرة.

- ابن عابدين، محمد أمين أفندي، **حاشية رد المْحتار على الدر المختار،** دار الفكر للطباعة والنشر، ط 1421هـ /2000م، بيروت، لبنان.

- ابن عباد، إسماعيل، **المحيط في اللغة،** ط1، عالم الكتب، بيروت، 1414هـ، ج2، ص390.

- ابن عتيق، حمد بن علي بن محمد، **سبل النجاة والفكاك،** تحقيق: الوليد بن عبد الرحمن العزيان، مطابع دار طيبة، الرياض، السعودية، ط 1409هـ/ 1989م.

-ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطّحاوية،** تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، ط4، 1391هـ، بيروت.

- ابن فياض، زيد بن عبد العزيز، **الروضة النّدية،** شرح العقيدة الواسطية، المطبعة اليوسفية، ط2، 1388هـ/ 1968م.

- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد ا بن مسلم، **غريب الحديث،** ط1، 1397م، تحقيق: د. عبد ا الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، العراق.

- ابن قدامة المقدسي، موفق الدين أبي محمد عبد ا بن محمد، **المغني،** ط1، 1419هـ، دار هجر، القاهرة.

- ابن قدامة، أبي محمد موفق الدين، **الكافي،** ط2، المكتبة الإسلامية، بيروت، 1399هـ.

- ابن قدامة، عبد ا بن أحمد، **المقنع في فقه الإمام أحمد،** مكتبة الرياض الحديثة، 1400هـ/1980م.

- ابن القيم الجوزية، أبو عبد ا محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،** مطبعة أنصار السنّة المحمدية، ط1.

- ابن قيم الجوزية، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي،** تحقيق: مصطفى الشلبي، ط 1414هـ/ 1994م، مكتبة السوادي، جدة، السعودية.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد، **الفوائد**، تخريج وحواشي: أحمد راتب عرموش، ط3، 1402هـ/ 1982م، دار النفائس، بيروت.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد، **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**، حققه وعلق عليه الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، مطابع النصر الحديثة، الرياض، السعودية.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللّهفان من مصايد الشّيطان**، تحقيق وتصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد، **الصلاة وحكم تاركها**، دار الهلال، الرياض، السعودية، ط1387/1هـ.

- ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، ط 1407هـ، دار الفكر، بيروت.

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، **تفسير ابن كثير**، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1402هـ/ 1981م.

- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، **السنن**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، مصر، بدون تاريخ.

- ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد، **جامع العلوم الحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، لبنان،1403هـ.

- الأصبحي، مالك بن أنس، **المدونة الكبرى**، ضبط أحمد عبد السلام، ط1، 1315هـ/1994م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الألباني، محمد ناصر الدين في **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، المكتب الإسلامي، ط2، 1405هـ/1985م، بيروت، لبنان.

- الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح الترغيب والترهيب**، ط5، مكتبة المعارف، الرياض.

- الألوسي، محمد أبو الفضل، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثماني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الإمام أحمد بن حنبل، **المسند**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط 1398هـ/ 1978م.

- البخاري، **الصحيح**، محمد بن إسـماعيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. نص ما وجد على النسـخة السـلطانية التي صار بالطبع عليها، مطبعة دار الشعب، مصر، 1378هـ.

- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، **الروض المربع شرح زاد المستنقع، وحاشية الروض المربع**، للشيخ عبد ا بن عبد العزيز العنقري، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية.

- البوطي، د. محمد سعيد رمضان، **كبرى اليقينيات الكونية "وجود الخالق ووظيفة المخلوق"**، ط6، مطبعة مسودى، القدس، وادي الجوز، 1399هـ.

- أبو داود، سليمان بن الأشـعث السـجسـتاني، **السـنن**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

- أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري **النهاية في غريـب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط 1399هـ/ 1979م

- البيهقي، أبو بكر بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى،** ط1، 1406هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- الترمـذي، محمد بن عيسى، **السـنن،** تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السـبع العلمي، دار الكتاب العربي، ط1، 1407هـ.

- الجزائري، أبو بكر جابر، **عقيدة المؤمن،** مكتبة الكلّيات الأزهرية، بدون تاريخ.

: **منهاج المسلم،** دار الفكر، بيروت، ط8، 1396هـ/1976م.

: **منهاج المسلم،** دار الفكر، ط8، 1396هـ / 1976م.

- الجميلي، السيد، **مواقف يوم القيامة،** مكتبة دار التراث الإسلامي، القاهرة، مطبعة التقدم، ط2، 1982م.

- الحكمي، حافظ بن أحمد، **معارج القبول بشرح سلّم الوصول إلى علم الأصول في التّوحيـد،** من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكـة العربية السعودية، بدون ذكر تاريخ الطّبعة.

- الحكمي، محمد بن عبد ا علي، **الظلم وأثره السيئ على الفرد والمجتمع،** من محاضرة للداعية الإسلامي اليمني، محمد بن سالم البيحاني، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1995.

- الحمد، محمد بن إبراهيم، **سوء الخُلُق: مظاهره، أسبابه، علاجه،** وكالة المطبوعات والبحث العلمي، وزارة الأوقاف، المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ.

- الحمصي، د. محمد حسن، **تفسير وبيان مفردات القرآن على مصحف التجويد،** مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

- الحنفي، ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطّحاوية**، تحقيق جماعة من العلماء، خـرج أحاديثهـا محمد ناصر الدين الألباني، والتّوضيح بقلم زهيـر الـشّاويش، المكتـب الإسـلامي، ط4، بيروت، 1391هـ.

- حوى، سعيد، **الأساس في السنّة وفقهها**، دار الإسلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمـة، ط1، 1409هـ/1989.

- الخطابي، أبو سليمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، **غريب الحديث**، ط1، 1402 هـ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة، السعودية.

- الخطيب، عمر عودة، **المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنّظم البشرية**، مؤسـسة الرسـالة، بيروت، لبنان، ط3، 1399هـ/1979م.

- خليفة، محمد عبد الظاهر، الحياة **البرزخية من الموت إلى البعث**، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 393هـ/1973م.

- الرازي، الفخر، **التفسير الكبير**، ط2، دار الكتب العلمية، طهران.

- الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، **تفسير القرآن**، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، ط جديدة، مكتبة لبنان، بيروت.

- الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار مكتبة الحيـاة، بيـروت، بدون تاريخ.

- الدامغاني، الحسين بن محمد، **قاموس القرآن وإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكـريم**، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايـين، بيـروت، ط2، 1977م.

- رضا، د. صالح أحمد، **قطوف من رياض السنّة**، دراسة تحليلية لأحاديث مختارة من كتـاب رياض الصالحين، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، بدون تاريخ.

- الزرعي، أبو عبد ا محمد بن أبي بكر أيوب، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط14، 1407هـ/1986م.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

- سابق، السيد، **عناصر القوة في الإسلام**، ط2، 1398هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- زكي، أحمد رضا، موقع إنترنت، http:www.arabbeat.com/i/6th/real.htm

- زيدان، د. عبد الكريم، **معالم الثقافة الإسلامية**، مؤسسة الأنوار النشر والتوزيع، الريـاض، السعودية، ط5، 1398هـ، 1978م.

- زيدان، د. عبد الكريم، **أصول الدعوة**، ط3، دار البيان، 1396هـ، 1976م.

- زيدان، د. عبد الكريم، **الفرد والدولة في الشّريعة الإسلامية**، دار القرآن الكـريم للطباعـة والنّشر، بيروت، لبنان، 1398هـ/1978.

- السباعي، د. مصطفى، **من روائع حضارتنا**، ط مكتب شؤون التربية والتعليم، 1394هـ/ 1974م.

- السرخسي، شمس الدين، **المبسوط**، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1، 1418 هـ/ 1997م.

- السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد، **الذخائر شرح منظومة الكبائر**، ط1، 1422هـ، تحقيق: د. وليد بن محمد العلي، دار البشائر الإسلامية، المدينة المنورة.

- السفاريني، محمد بن أحمد بن محمد، **شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد**، ط4، 1410هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

- السفاريني، محمد بن أحمد، **نتائج الأفكار شرح حديث سيد الاستغفار**، ط1، 1416هـ، دار الصميعي، الرياض، تحقيق عبد العزيز سليمان الهبدان.

- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، **تحفة الفقهاء**، تحقيق: محمد الكتاني ووهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سورية.

- سنن البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى**، ط1، 1406هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **لباب النقول في أسباب النزول**، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد محمد تامر، ط2، 1425هـ/2004م، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة.

- الشربيني، محمد الخطيب، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

-الشربيني، محمد الخطيب، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، دار الفكر، بيروت.

- الشعراوي، الشيخ محمد المتولي، **الدار الآخرة**، مكتبة التراث الإسلامي، ط 2، 1422هـ/ 2001م.

- الشـنقيطي، محـمد الأميـن بن محمد المختار الجكنى، **أضـواء البيان فـي إيضـاح القرآن بالقرآن**، ط 1403هـ، الرئاسة العامة للإفتاء، السعودية.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

- الشّوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التّفـسير**، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان.

- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، **المهذب**، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، القاهرة، 1958م. ابن قدامة

- الصابوني، محمد علـي، **مختصر تفسـير ابن كثير**، دار القرآن الكـريم، بيروت، ط7، 1402هـ/1981م.

- الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1402هـ/1981م.

- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم، **المعجم الكبير**، مكتبة الزهراء، الموصل، العراق، ط2، 1404هـ/1983م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط1405هـ، دار الفكر.

- الطيالسي، أبو داود، **منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود**، ترتيب الشيخ أحمد عبد الرحمن البنّا، ط1، 1372هـ، المطبعة المنبرية، القاهرة.

- طبارة، عفيف عبد الفتاح، **روح الدين الإسلامي**، ط 12، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1394هـ/1974م.

- آل عبد اللّطيف، د. عبد العزيز بن محمد، **التّوحيد**، من مطبوعات وزارة الشّؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط4، 1424هـ.

- العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر، الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محي الدين بن الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ج24، ص182.

-العلواني، سليمان بن ناصر، **التبيان شرح نواقض الإسلام،** لمحمد بن عبد الوهاب، ط6، 1417هـ/ 1996م، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

-العيني، أبو محمد بن أحمد، **البناية في شرح الهداية**، تصحيح المولوي محمد عمر، الشهير بناصر الإسلام الرامفوري، ط1، 1401هـ/1981م، دار الفكر، بيروت.

- عاشور، عبد اللطيف، **كتاب الموت: سكرات الموت وشدته**، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، دراسة وتحقيق وتعليق، ط1406،1هـ/1986م، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- عبد الحكيم، منصور، **مئة وخمسون قصة من نهاية الظالمين والظالمات**، ط2005/1م، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة،.

- عبد العزيز، أمير، **التفسير الشامل للقرآن الكريم**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ/2000م.

- عبد العزيز، د. أمير، **دراسات في الثّقافة الإسلامية، مدخل إلى الدين الإسلامي**، مكتبة النّجاح الحديثة، نابلس، بدون تاريخ ولا ذكر طبعة.

- الغرناطي، محمد بن أحمد الكِلْبي، **التسهيل لعلوم التّنزيل**، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض، دار الكتب الحديث، مصر، بدون تاريخ.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار الوثائق، القـاهرة، مـصر، ط1، 1420هـ، 2000م.

- الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، **التفسير الكبير**، مفـاتيح الغيب، ط1، 1421 هـ/ 2000 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الفراء الحنبلي، القاضي أبو يعلى، **الأحكام السلطانية**، تصحيح: محمد حامد الفقي.

- الفراء، القاضي أبو ويعلى الفراء الحنبلي، **الأحكام السلطانية**، بتصحيح محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.

- الفيروز آبادي الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، **المهذب**، ضبط زكريا عميرات، ط1، 1416هـ/1995م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ط2، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

- فايز، أحمد، **اليوم الآخر في ظلال القرآن**، ط4، 1978م، الشّركة المتّحدة للتّوزيع، القاهرة.

- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، **الحكمة في الدعوة إلى ا تعالى**، ط3، 1417هـ/ 1997م، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية.

- القرضاوي، يوسف، **خطابنا الإسلامي في عصر العولمة**، ط1، 1424هـ/ 2004م، دار الشروق، القاهرة.

- القرطبي، أبو عبد ا محمد بن أحمد الأنصاري، **التذكرة في أحوال الموْتى وأمور الآخرة**، تحقيق: الشـحات أحمد الطحان، دار المنار للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

- القرطبي، محمد بن أحمد بن فرح، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط2، دار الشعب، القاهرة.

- قطب، سيد، **السلام العالمي والإسلام**، دار الشّروق، بيروت، ط7، 1398هـ/1978م.

العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط 6، 1383هـ/1964م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

: **في ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط5، 1386 هـ/ 1967م.

: **نحو مجتمع إسلامي**، دار الشروق، بيروت، ط2، 1395هـ/ 1975م.

: **هذا الدين**، مكتبة وهبه، مصر، ط4، بدون تاريخ.

- قطب، محمد، **شبهات حول الإسلام**، دار الشروق، بيروت، بدون تاريخ.

- كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

- الكاساني، الإمام علاء الدين، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م

- الكشناوي، أبي بكر بن حسن، **أسهل المدارك**. ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

- الكومي، جمال عبد المنعم، **ثمانون حديثًا في الظلم والظلمة والمظلومين**، مراجعة وتقديم، حسن عاشور، دار الاعتصام، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، 1992م.

- الماوردي، علي بن محمد، **أدب الدّنيا والدين**، تحليل: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت.

-المرداوي، أبو الحسين علي بن سليمان، **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، تحقيق: محمد حامد الفقي.

-المرغيناني، أبو الحسن علي بن أبي بكر عبد الجليل، **الهداية شرح بداية المهتدي**، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة.

-المصري، محمود، أبو عمار، جمع وترتيب، **رحلة إلى الدار الآخرة**، مكتبة الصفا، القـاهرة، ط1، 1426هـ/2005م.

- المقري، أحمد بن محمد بن علي الرافعي، **المصباح المنير**، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ

- المقري، أحمد بن محمد بن علي الرافعي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت.

- المنجد، محمد صالح، **ظاهرة ضعف: الإيمان، الأعراض، المظاهر، الأسـباب**، دار الـوطن للنّشر، الرياض، السعودية، ط3، 1419هـ.

- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **أجنحة المكر الثلاثة: التبشير، الاستشراق، الاسـتعمار**، دار القلم، دمشق، بيروت، 1975.

- محمود، د. علي عبد الحليم، **التّربية الاجتماعية الإسلامية**، دار التّوزيع والنّشر الإسـلامية، مصر، القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2001م.

-**مجلة الأزهر**، العدد الصادر سنة 1393هـ.

- **مجلّة المختار من ريدرز دايجست**، عدد نوفمبر 1957م.

- مسلم، **الصحيح**، دار المعرفة، بيروت، مطبعة دار التحرير، 1329هـ..

- مشهور، مصطفى، **قضية الظلم في ضوء الكتاب والسنة**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، إشراف عبد السلام هارون، دار إحياء التّراث العربي، المكتبة العلمية، طهران.

- النسائي، أحمد بن شعيب، **السنن، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية السندسي**، ط1، 1406هـ، بيروت، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بحلب.

- النسفي، أبو البركات عبد ا بن أحمد، **تفسير النسفي**، دار الكتاب العربي، بيروت.

- النووي، يحيى بن شرف الحوراني، **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، ط2، 1405هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- النووي، يحيى بن شرف، **شرح الإمام النووي على صحيح مسلم**، ط3، 1392هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- النووي، شرف الدين، **المجموع شرح المهذب**، دار الفكر، بيروت، ط1997م.

- الهاشمي، د. محمد علي، **شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنّة**، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، وزارة الشّؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ.

- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط1، 1352هـ، مكتبة المقدسي.

- ياسين، د. محمد نعيم، "**الإيمان**": **أركانه، حقيقته، نواقضه**، ط2، 1400هـ / 1979م، جمعية عمال المطابع التّعاونية، عمان، الأردن.

Al-Najah National University
High Studies Department

Denying Tyranny According To Quran and Sunnah

Prepared
Mohammad Ibrahim Ahmad Saif

Supervised
Dr. Khaddr Abed Al-Lateef Sawandak

This Thesis is prepared as requirement for the M.A Degree in the Principle Of Religion at the High Department Studies in Al-Najah National University Nablus-Palestine.

2007
Denying Tyranny According To Quran and Sunnah
Prepared
Supervised
Mohammad Ibrahim Ahmad Saif
Dr. Khaddr Abed Al-Lateef Sawandak

Abstract

This thesis –which is about tyranny, tyrants and oppressed – is introduced in the "introduction" where oppression is defined. It was found that tyranny is an old phenomenon started by the killing of Qabeel to Habeel. Tyranny can be divided into three main types: Non Muslims, man oppressed to others and self oppression .The researcher talked about tyrants' behaviors, causes of tyranny in humanity, social discriminations and corruption that lead to superiority and absolute power, and then it deals with the discrimination between people that spread in medieval ages, which were made by man like differentiate according to colors, richness, and social status. Islam. However refuses slavery and free them through redemption. One of causes of tyranny is lack of religion motive that leads to bad deeds and ignoring the Day of Judgment or even refusing fate when not suit his desire. It is certain that man will oppress himself if he doesn't believe of God and worships people over the "almighty" and denies their rights. The oppressed will ask for revenge in life and after death.

But if the man does not do what God ordered.

He is a self oppressed. God will punish him as being said in the Holy Quran "nothing will help except our good deeds" tyrants punishment divided into two types: life punishment and after death punishment when standing in front of God. The tyrants will face many punishments during their lives such as: diseases, tragedies, poorness, loneliness. In order to

redeem and learn lessons as a result of their bad deeds. But if this doesn't make sense, God will punish them through "dying" and after death when every one to ask for salvation for himself, but nothing will help except our good deeds. However, if they are bad and full with sins, they will go to hill having what they deserve, there every one will mock and despises them. On the other hand, the oppressed will get fair, justice and enjoy the "Paradise".